أسباب العصمة من الفتن
في ضوء قصة أصحاب الكهف

إعداد / عبد العزيز بن محمد السحيباني

الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه

كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأنزل علينا كتابه المبين، يهدي للتي هي أقوم، ويعصم الله به من الفتنة والزلل، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصنا بإرسال أكرم الخلق عليه، الذي طهر الله قلبه وأظهر حجته، وأعلى في العالمين ذكره، وجعل خير الناس أمته وخير القرون قرنه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفيائه، وعلم أوليائه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقه إلى يوم الدين. أما بعد:

فموضوع هذا البحث يتناول قصة من قصص القرآن، لها شأن عظيم؛ لأنها ترشد إلى أسباب العصمة من الفتن، التي يحتاج إليها كل مؤمن بالله واليوم الآخر .

أهمية البحث وأسباب اختياره :

-أهمية البحث ظاهرة من موضوعه وعنوانه؛ لأنه يتناول دراسة قصة من قصص القرآن، ترسم للمؤمن طريقه الآمن في سيره إلى الله تعالى .

-كما أن هذه الموضوع تشتد الحاجة إليه في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن وضعف فيه سلطان الدين وعظم فيه تسلط الأعداء .

أهداف الموضوع :

-بيان أهم أسباب العصمة من الفتن، التي تعين المرء على استمساكه بدينه .

-الوقوف على أنموذج من نماذج القصص القرآني في: هدايته، وبلاغته، وفصاحته .

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث مشابه لهذا البحث بمنهجيته وخطته!

وإنما وقفت على كتاب للدكتور/ أحمد علي المجذوب، وعنوانه: أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن .

ولهذا الكتاب وجهة أخرى؛ فهو دراسة تاريخية للقصة في المصادر المختلفة . بخلاف هذا البحث؛ فهو دراسة تفسيرية، يعنى بالدروس المستفادة من القصة في موضوع العصمة من الفتن .

خطة البحث

المقدمة

التمهيد:ويتناول تعريفا بسورة الكهف وفضلها وسبب نزولها وموضوعها.

المبحث الأول: مقدمة السورة وصلتها بقصة أصحاب الكهف.

المبحث الثاني: منهج القرآن في عرض قصة أصحاب الكهف.

المبحث الثالث: قصة أصحاب الكهف بإيجاز.

المبحث الرابع:مشاهد القصة وعبرها بالتفصيل .

المشهد الأول: يحكي تحول أصحاب الكهف إلى الإيمان وأسباب ذلك.

المشهد الثاني: يحكي تثبيت الله للفتية عندما صدعوا بالحق أمام قومهم .

المشهد الثالث: وفيه يتشاور الفتية فيما بينهم في كيفية اتقائهم لفتنة قومهم.

المشهد الرابع: يصور حال أصحاب الكهف وهم رقود وما سخر الله لهم من آيات عجيبة.

المشهد الخامس: يحكي حال الفتية وتساءلهم عندما أيقضهم الله بعد رقدتهم الطويلة.

المشهد السادس: يتناول موقف أهل زمانهم منهم بعد انكشاف أمرهم.

المبحث الخامس: تعقيبات القرآن في خاتمة القصة.

الخاتمة: وفيها الخلاصة وأهم نتائج البحث.

الفهارس

منهج البحث

-سلوك المنهج التحليلي والموضوعي في دراسة القصة .

-عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

-تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية بذكر الكتاب والباب ورقم

الحديث مع الحرص على بيان درجة الحديث .

-سلوك المنهج العلمي في توثيق النصوص بعزوها لقائليها من كتبهم مباشرة، إلا مع تعذر الأصل .

-شرح غريب الألفاظ من المعاجم اللغوية وكتب غريب القرآن.

وفي الختام أحمد الله تعالى حمد كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ويرضى على نعمه التي لا تحصى، وأشكره شكرا كثيرا لا ينتهي على ما من به علي، فأعانني على إنجاز هذا البحث، وما فتح لي فيه، وأسأله جل وعلا أن يغفر لي زللي وخطأي، وكل ذلك عندي .

كما أشكر كل من أعاني على إتمام هذا البحث، وتسديده، من قريب أو بعيد، والله يتولانا جميعا بواسع رحمته، ويوفقنا إلى أسباب مرضاته، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

سورة الكهف وفضلها وسبب نزولها وموضوعها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ

﴿تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ **الكهف: ١ – ٢٦.**

أولا: سورة الكهف:

سورة الكهف مكية بالاتفاق [١]،قال القرطبي:" وهي مكية في قول جميع المفسرين"اهـ [٢].

وورد في السنة ما يشير إلى أن السورة نزلت في أوائل العهد المكي. وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (**بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفُ، وَمَرْيَمُ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءُ: هُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي**) [٣]، والعتاق جمع عتيق: وهو القديم، أو هو الكريم الرائع من كل شيء الذي بلغ الغاية في الجودة، وقوله من تلادي أي: مما حفظ قديما، والتلاد: قديم الملك، وهو بخلاف الطارف، فالتالد: المال القديم الأصلي الذي ولد عند صاحبه [٤].

ومراد ابن مسعود أنهن من أول ما كسب وتعلم من القرآن، وأن لهن فضلا لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم [٥].

وعدد آيات سورة الكهف مائة وعشر آيات عند الكوفيين،وست عند الشاميين، وخمس عند الحجازيين، وإحدى عشرة عند البصريين [٦].

وتقع هذه السورة في منتصف القرآن وقد افتتحت بالحمد كما أن الربع الأول من القرآن افتتح بالحمد في سورة الفاتحة، كذلك سور الأنعام افتتحت بالحمد، وهي تقع تقريبا في الربع الثاني من القرآن، ثم سورة الكهف في الربع الثالث وسورة سبأ في

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢٩٧/١.
(٢) تفسير القرطبي ٣٤٦/١٠.
(٣) صحيح البخاري ٩٦/٦ –كتاب تفسير القرآن – باب سورة الأنبياء – حديث رقم ٤٧٣٩ .
(٤) انظر لسان العرب ٩٩/٣ ، ٢٣٦/١٠ ، وفتح الباري ٣٨٨/٨.
(٥) انظر تفسير القرطبي ٢٦٦/١١ ، والفتح ٣٨٨/٨.
(٦) بصائر ذوي التمييز ٢٩٧/١.

الربع الرابع من القرآن [1].

ثانيا: فضلها:

ورد في فضلها أحاديث، منها:

ما أخرج مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**) وفي رواية من آخرها [2].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآخِرَهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ قَدَمِهِ إِلَى رَأْسِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**) [3].

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ**) [4].

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " وأحب قراءة الكهف ليلة الجمعة ويومها لما جاء فيها " اهـ [5].

وقال المرداوي في الإنصاف:" قوله (ويقرأ سورة الكهف في يومها) هكذا قال جمهور الأصحاب. ونص عليه الإمام أحمد" [6].

ثالثا: سبب نزولها:

أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل

---

(١) انظر أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ١٠٠.

(٢) صحيح مسلم ٥٥٥/١ –كتاب صلاة المسافرين – باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي – حديث رقم ٨٠٩ .

(٣) المسند ٣٩٠/٢٤ – حديث رقم ١٥٦٢٦. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٢/٧ : "وفي إسناده أحمد ابن لهيعة، وهو ضعيف وقد يحسن" .

(٤) المستدرك ٣٩٩/٢ – حديث رقم ٣٣٩٢ . وفيه نعيم بن حماد . قال عنه الذهبي في التلخيص: ذو مناكير . وقال ابن حجر في التلخيص ١٧٥/٢ :" ورواه الدارمي وسعيد بن منصور موقوفا، قال النسائي بعد أن رواه مرفوعا وموقوفا: وقفه أصح. وله شاهد من حديث ابن عمر في تفسير ابن مردويه" اهـ . وصححه الألباني في صحيح الجامع ١١٠٤/٢ – حديث رقم ٦٤٧٠.

(٥) الأم ٢٣٩/١ ، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ٤٢٠/٤ .

(٦) الإنصاف ٤٠٨/٢ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة؛ فقالوا: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم؛ لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالوا لهما: سلوه عن ثلاث؛ فإن أخبركم بهن؛ فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل؛ فالرجل متقول؛ فروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو . فإن أخبركم بذلك؛ فإنه نبي؛ فاتبعوه، وإلا فهو متقول . فأقبل النضر وعقبة حتى قدما قريش؛ فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد؛ قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبراهم بها . فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبركم غدا بما سألتم عنه، ولم يستثن . فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة، وأحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاء جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها: معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله: ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ** ﴾ **الإسراء: ٨٥** [(١)]. [(٢)]

ويشير سبب النزول إلى أن السورة نزلت جملة واحدة . ويؤيده ما أخرجه ابن الضريس، والمستغفري كلاهما في الفضائل، والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا: (**نزلت سُورَة الْكَهْف جملَة مَعهَا سَبْعُونَ ألف من الْمَلَائِكَة**) [(٣)].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٠١/١، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٧٠/٢، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢١٦/١، والدر المنثور ٣٧٥/٥ .

(٢) الدر المنثور ٣٧٥/٥ .

(٣) فضائل القرآن لابن الضريس ٩٦/١ رقم ٢٠٣، وفضائل القرآن للمستغفري ٥٦٤/٢ رقم ٨٢٥، ومسند الفردوس للديلمي ٢٧٥/٤، رقم ٦٨١٢ .

رابعا: موضوع السورة

القصص القرآني هو الغالب في سورة الكهف وشغل مساحة واسعة منها، وإذا أمعنا النظر في آيات السورة وقصصها والأحاديث الواردة في فضلها يمكننا أن نقول: إن موضوع السورة هو: **الفتن الكبرى في هذه الدنيا وسبيل العصمة منها**.

والمتأمل في سورة الكهف يجد أنها تحتوي على مقدمة وخاتمة وبينهما أربع قصص .

أما المقدمة ففيها بيان أن ما على الأرض من زينة إنما هو فتنة وابتلاء،وأن القرآن هو مقياس الفوز والخسارة؛لأنه ميزان حق ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ .

وأما خاتمة السورة فتكشف لنا نتيجة هذا الابتلاء في الآخرة، وتُذكِّر بأعظم أسباب النجاة وهو التوحيد المقرون بالعمل الصالح .

أما القصص الأربع فكل قصة تحكي نوعا من أنواع الفتنة والابتلاء .

القصة الأولى : قصة أصحاب الكهف . وموضوع هذه القصة الفتنة في الدين .

والقصة الثانية : قصة صاحب الجنتين . وموضوع هذه القصة فتنة المال والجاه .

والقصة الثالثة : قصة موسى والخضر وموضوعها فتنة العلم .

والقصة الرابعة قصة ذي القرنين وموضوعها فتنة الملك والسلطان .

وعند التأمل نجد أن الفتنة في الدين أو في المال أو في العلم أو في السلطان هي الفتن الكبرى في هذه الحياة، وخطرها شبيه بفتنة الدجال، ولعل هذا يكشف لنا العلاقة بين العصمة من الدجال التي وردت في الأحاديث وبين قراءة أول هذه السورة وآخرها أو كلها . وهذا النور الذي يحصل لقارئها هو بمثابة الفرقان الذي يكشف للمؤمن طريقه ويميز فيه بين الحق والباطل.

المبحث الأول
مقدمة السورة وصلتها بقصة أصحاب الكهف.

أشرت في التمهيد إلى أن سورة الكهف قد أستهلت بثمان آيات، هي بمثابة المقدمة لما اشتملت عليه السورة من قصص.

أولا: مقدمة السورة

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ **الكهف: ١ - ٨.**

هذا المقطع يمثل مقدمة السورة كما تقدم، والتي تضمنت – إجمالا – الثناء التام على الله عز وجل، وعلى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتنويه – تفصيلا – بالقرآن الذي امتن الله به على عباده، فأنزله الله؛ كي تستقيم به الحياة في هذه الدنيا، التي جعلها دار امتحان وابتلاء .

موضوع المقدمة: الامتنان بإنزال القرآن، باعتباره الآية الكبرى، الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن كمال العباد وصلاح أحوالهم، بل سعادة الدارين – مرهونة بالتزام هدي هذا القرآن العظيم . وهذا يتبين بتفسير الآيات .

تفسير الآيات:

افتتحت السورة بجملة تضمنت: تعظيم الله تعالى، وتشريف رسوله الأمين، والإشادة بكتابه الحكيم؛ فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾.

والحمد هو الثناء على الله بصفاته، التي هي كلها صفات كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية [1].

---

(1) تفسير السعدي ص٤٦٩.

وقد أثنى الله على نفسه في هذه الآية بإنعامه على خلقه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر؛ لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم [٢].

وأفادت هذه الجملة أن أجل نعم الله تعالى التي يحمد عليها هي إنزاله القرآن العظيم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فحمد الله نفسه، وفي ضمنه إرشاد للعباد؛ ليحمدوه على إنزال الكتاب عليهم من خلال أشرف رسله وأزكاهم[٣].

ووَصْفُ النبي الكريم – في مقام الامتنان عليه بإنزال الكتاب عليه — بأنه عبد مع إضافته إلى ضمير الله تعالى يشير إلى عظيم عناية الله به، وأنه أكمل الناس عبودية لربه. والوصف بالعبودية في هذا المقام مناسب لما جاء بعده — بآيتين – من نفي الولد عنه تبارك وتعالى.

و"أل" في قوله:ٱلْكِتَٰبَ للعهد الذهني، أي: الكتاب المعهود لكم كماله وجلاله وغناه عن الوصف [٤].

ثم امتدح تبارك وتعالى كتابه، وأكد كماله وجلاله بوصفين، هما سر عظمته وإعجازه؛ فقال: وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا .

قال ابن عباس: أنزل الكتاب عدلا قيما، ولم يجعل له عوجا. فأخبر ابن عباس بقوله هذا أن في الآية تقديما وتأخيرا، والمعنى: أنزل الكتاب على عبده قيما ولم يجعل له عوجا [٥].

قال الزجاج:"قال أهل التفسير وأهل اللغة : إن معناه: الحمد لله الذي أنزل

---

(١) والفرق بين الحمد والشكر أن بينهما عموما وخصوصا؛ فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته؛ لفروسيته، وحمدته؛ لكرمه، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا بالقول . والشكر أعم؛ من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون بالقول والفعل والنية، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته؛ لفروسيته، وتقول شكرته؛ على كرمه وإحسانه إلي . أفاده ابن كثير في تفسيره ٣٧/١.

(٢) تفسير البغوي ١٤٤/٣.

(٣) انظر تفسير السعدي ص٤٦٩.

(٤) انظر تفسير أبي السعود ٢٠٢/٥ .

(٥) انظر تفسير الطبري ٢١٩/١٥ .

على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا"اهـ [1] [2].

والمراد بنفي العوج في الآية هو نفي الاختلاف والتناقض عن جميع معاني القرآن وألفاظه وأخباره وأحكامه؛ لأن عوجا نكرة في سياق النفي؛ فتعم جميع أنواع العوج وصوره [3].ومعنى قَيِّمًا أي: عدلا مستقيما، وهو قول ابن عباس والضحاك [4]، وهو في محل نصب حال من الكتاب،أو منصوب بمضمر تقديره وجعله قيما [5].

والمعنى أن الله تعالى أنزل الكتاب على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضا، وبعضه يشهد لبعض، لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق . وهذا التفسير هو قول الجمهور [6]. وعليه فهو تأكيد في المعنى لقوله:وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا [7].

قال الزمخشري:"فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر ؟ قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح "اهـ [8].

وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله:وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا إشارة إلى كون الكتاب كاملا في ذاته وقوله:قَيِّمًا إشارة إلى كونه مكملا لغيره؛ لأن القيم في اللغة هو القائم بمصالح الغير، والقيم صفة مبالغة من القيام، الذي يطلق على دوام تعهد شيء وملازمة صلاحه؛ فمعنى قَيِّمًا ، أي: قيما على هدي الأمة وإصلاحها . والجمع بين قوله: وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا وقوله: قَيِّمًا كالجمع بين قوله: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ في سورة

---

(١) معاني القرآن ٢٦٧/٣.

(٢) والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، وذهب الزجاج إلى أن العوج بالكسر يكون في المعاني وبالفتح يكون في الأعيان، والأول أولى، وهو ما عليه المحققون من أئمة اللغة، ويؤيده قوله تعالى عن الجبال: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ طه: ١٠٧، حيث اتفق القراء على قراءته بكسر العين . معاني القرآن للزجاج ٢٦٧/٣، والتحرير ٢٤٧/١٥.

(٣) الكشاف ٧٠٢/٢ ، وأضواء البيان ٤/٤ .

(٤) انظر تفسير الطبري ٢١٩/١٥ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٢/١٠.

(٥) انظر الكشاف ٧٠٢/٢ ،والتحرير ٢٤٨/١٥.

(٦) تفسير الطبري ٢٢٠/١٥ ، وأضواء البيان ٥/٤ .

(٧) المصدر السابق ٥/٤ .

(٨) الكشاف ٧٠٢/٢.

البقرة[1]. وهو قول وجيه، وهو متضمن للقول الأول ؛ لأن القيم مستقيم في ذاته، مقيم ومصلح لغيره .

ووصف الله تعالى كتابه الكريم بهذين الوصفين يدل على أنه الكامل من جميع الوجوه؛ فقد نفى تعالى عنه العوج بقوله: **وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**، وأثبت أنه مقيم مستقيم بقوله:**قَيِّمًا** . فأما نفي العوج؛ فيقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث. وأما إثبات أنه قيم؛ فيقتضي أنه لا يخبر و لا يأمر إلا بأجل الأخبار، وهي تلك التي تملأ القلوب معرفة وإيمانا وعقلا، كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة، كما أن أوامره ونواهيه تزكي النفوس وتطهرها وتنميها وتكملها؛ لاشتمالها على كمال العدل والقسط والإخلاص والعبودية لله رب العالمين، وحده لا شريك له. وحقيق بكتاب موصوف بما ذكر أن يحمد الله نفسه على إنزاله وأن يتمدح إلى عباده .

ويلاحظ أن افتتاحية السورة تضمنت الإشادة بالقرآن وتعظيم شأنه؛ باعتباره الآية الكبرى الظاهرة الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وفي طيَّات تلك الإشادة تعجب ممن يتغافلون عن هذا الكتاب المعجز، ويبحثون عن آيات أخرى – كقصة أصحاب الكهف أو ذي القرنين — هي دونه في الدلالة على صدق النبي – عليه الصلاة والسلام – في دعوته .

ولما كان صلاح الدنيا والآخرة معقوداً بالاستمساك بهدي القرآن العظيم؛ بين تبارك وتعالى أن الغرض من إنزال الكتاب هو النذارة والبشارة . وبدأ أولا بالنذارة، فقال: **لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ** أي: لينذر بهذا القرآن القيم عقابه على من خالف أمره ولم يؤمن به، وهو شامل لعقاب الدنيا والآخرة، وخصصه بقوله:**مِّن لَّدُنْهُ**؛ إشارة إلى زيادة هوله، ولذلك عظمه بالتنكير[2].

واللام في **لِّيُنذِرَ** متعلقة بـ **أَنزَلَ** وقيل بـ **قَيِّمًا** والأول أظهر. والإنذار هو الإعلام المقترن بتخويف وتهديد [3]. والمفعول الأول لـ ينذر محذوف؛ لقصد التعميم، أو أنه نزَّل الفعل منزلة اللازم، فجعل المنذر به وهو البأس الشديد هو الغرض المقصود،

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٢/١٠ ، وتفسير الرازي ٤٢٢/٢١، والبحر المحيط لأبي حيان ١٣٦/٧، والتحرير والتنوير ٢٤٨/١٥ .

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ٥/٧، وتفسير السعدي ٦/٥.

(٣) أضواء البيان ٧/٤.

فوجب الاقتصار عليه، ولذا جعل الإنذار الثاني متعلقا بالمنذرين؛لأنهم المقصودون من غير ذكر المنذر به [1].

وثنى بالبشارة للمستمسكين بالكتاب، فقال: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾، فهذه الجملة عطف على قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا﴾، فهو سبب آخر لإنزال الكتاب [2].

والتبشير: الإخبار بالأمر المحبوب؛ فهو أخص من الخبر [3].

والمعنى: ويبشر القرآن المؤمنين الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح أن لهم أجرا حسنا، أي: مثوبة عند الله جميلة.

وفي وصفه بالحسن دلالة على أنه لا مكدر فيه ولا منغص بوجه من الوجوه

قرأ حمزة والكسائي بالتخفيف بفتح الياء وضم الشين: **ويَبْشُر**، بمعنى: يسُر ويُفرِح، يقال: بشرته أبشُره؛ إذا فرَّحته . وقرأ الباقون بضم الياء وتشديد الشين مكسورة: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ من البشارة، يقال: بشَّرته بشارة، والمعنى في القراءتين واحد [4].

وزاد في تبشير المؤمنين بقوله: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾: أي ماكثين في ثوابهم عند الله، وهو الجنة، يعني: خالدين فيه أبدا، لا يزولون عنه، ولا زوال له، ولا انقضاء[5].

ثم عاد إلى النذارة ففصل في بيان المنذرين، وتفضيع مقالتهم الشنيعة؛ فقال : ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: أي ينذرهم بأسه الشديد؛ كما دلت عليه الآية الأولى . وهذا من عطف الخاص على العام؛ لشناعة مقالتهم [6]. قال ابن إسحاق: يعني قريشا في قولهم: نحن إنما نعبد الملائكة وهن بنات الله [7].

والأولى أن تكون عامة في كل من زعم هذه الفرية من اليهود والنصارى والمشركين [8].

---

(١) انظر: الكشاف ٧٠٣/٢ ، والتحرير ٢٤٨/١٥ .
(٢) انظر: التحرير والتنوير ٢٥٠/١٥ .
(٣) التحرير والتنوير ٣٥٢/١ .
(٤) انظر: معاني القراءات للأزهري ص ١٠١، والنشر لابن الجزري ٢٣٩/٢ .
(٥) انظر تفسير ابن كثير ١٣٢/٥ ، وتفسير السعدي ص٤٦٩.
(٦) أضواء البيان ١٠/٤.
(٧) تفسير الطبري ٢٢٢/١٥.
(٨) انظر تفسير السعدي ص٤٦٩، وأضواء البيان ١١/٤.

وبين بطلان أصل ما زعموه بقوله: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ﴾. وجملة: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ﴾ حال من ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ﴾، وضمير ﴿ بِهِۦ ﴾ عائد على مصدر مأخوذ من فعل ﴿ قَالُوا۟ ﴾، أي مالهم بذلك القول من علم، ومن لتأكيد النفي [1].

ونفي الفعل – في هذه الجملة – لا يدل على إمكانه؛ فما نسبوه له جل وعلا من اتخاذ الولد لا علم لهم به ؛ لأنه مستحيل، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ البقرة: ٥٧– الأعراف: ١٦٠ ؛ لأن ظلمهم لربنا وحصول العلم لهم باتخاذ الولد كل ذلك مستحيل عقلا فنفيه لا يدل على إمكانه [2].

وزاد في التعجب من شناعة ما صدر عنهم فقال: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ وهي كقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ مريم: ٩٠ – ٩١ .

والضمير في قوله: ﴿ كَبُرَتْ ﴾ يرجع إلى قولهم: ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ .

والجمهور على أنها من باب نعم وبئس، كأنه قيل: ما أكبرها كلمة، فـ ﴿ كَلِمَةً ﴾ منصوبة على التمييز والفاعل مضمر، و ﴿ كَلِمَةً ﴾ تفسير له، والمخصوص بالذم محذوف، والتقدير كبرت الكلمة كلمةً كلمةٌ تخرج من أفواههم، كقوله: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ﴾ الأعراف: ١٧٧، أي: ساء المثل مثلا مثل القوم، والمراد بالكلمة: الكلام وهو إطلاق شائع، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ المؤمنون: ١٠٠، فسمى قوله: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠ كلمة [3]. وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقوله: ﴿ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ صفة لـ ﴿ كَلِمَةً ﴾، تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، وقيل أنها صفة للمخصوص بالذم المحذوف [4].

وقوله: ﴿ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ : أي ما يقولون في ذلك الشأن إلا قولا كاذبا، لا

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥١/١٥.

(٢) انظر أضواء البيان ١١/٤.

(٣) قال الشنقيطي في أضواء البيان ١٣/٤ :" ما جاء لفظ الكلمة في القرآن إلا مرادا به الكلام المفيد"اهـ.

(٤) انظر الكشاف ٧٠٣/٢ ، والفريد للهمداني ٣١١/٣ ، والتحرير والتنوير ٢٥٢/١٥ ، وأضواء البيان ١٣/٤.

يمكن أن يدخل تحت إمكان الصدق أصلا [١]، وهذه الجملة مؤكدة لمضمون جملة: **تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ** ؛لأن حقيقة الكذب هو ما تنطق به الألسن ولا تحقق له في الخارج [٢].

قال ابن كثير:" **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ** أي ليس لها مستند سوى قولهم، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم، ولهذا قال: **إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** "اهـ [٣].

وقد تدرج السياق معهم، فنفى أولا العلم عنهم وعن آبائهم، ثم أخبر عن شناعة مقالتهم وقبحها، ثم ذكر ثالثا مرتبتها من القبح، وهو الكذب المنافي للصدق [٤].

وقوله: **فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا** : باخع أي قاتل نفسك ومهلكها[٥]،ومنه قول لبيد بن ربيعة:

لعلك يوما إن فقدت مزارها على بعده يوما لنفسك باخع[٦]

والبخاع عرق مستبطن في القفا، والبخع أصله أن يبلغ الذابح بالذبح عرق البخاع؛ مبالغة في الذبح، ثم أطلق على القتل المشوب بغيظ [٧].

قال قتادة: **بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ**: قاتل نفسك؛ غضبا، وحزنا عليهم .

وقال مجاهد: جزعا، والمعنى متقارب . أي لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن أهتدى؛ فلنفسه، ومن ضل؛ فإنما يضل عليها، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات [٨].

قال الزمخشري: شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم –برجل فارقه أحبته وأعزته، فهو يتساقط حسرات على أثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفاً على فراقهم "اهـ [٩].

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٢٠٤/٥.
(٢) التحرير والتنوير ٢٥٢/١٥ .
(٣) تفسير ابن كثير ١٣٢/٥.
(٤) تفسير السعدي ص٤٧٠ .
(٥) انظر غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٢٣ .
(٦) انظر روح المعاني ٢٠٤/١٥.
(٧) انظر التحرير٢٥٤/١٥.
(٨) انظر تفسير ابن كثير ١٣٤/٥.
(٩) الكشاف ٧٠٤/٢.

ولعل تكون للترجي في المحبوب وللإشفاق في المحذور.

وذهب أبو حيان إلى أن لعل هنا في الآية للإشفاق عليه صلى الله عليه وسلم أن يبخع نفسه لعدم إيمانهم (١).

وذهب ابن عطية أن لعل هنا للإنكار أي لا تبخع نفسك لعدم إيمانهم (٢).

وهو الأظهر؛ لأن ورود لعل مضمنة معنى النهي أسلوب عربي مقرر، كما أن هذا المعنى المذكور في الآية قد تكرر كثيرا في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ فاطر: ٨، وقوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ الحجر: ٨٨ – النحل: ١٢٧ – النمل: ٧٠، وقوله: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ المائدة: ٦٨، وخير ما يفسر به القرآن القرآن (٣).

وقوله: عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ : أي من بعدهم يعني من بعد توليهم عن الإيمان وتباعدهم عنه (٤).

وها هنا استعارة فصيحة، وبيانها: أن لهم إدباراً وتباعداً عن الإيمان وإعراضاً عن الشرع، فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا، فهو في آثارهم يحزن عليهم (٥).

وقوله: إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا : المراد بالحديث القرآن (٦). والأسف: المبالغة في الحزن والغضب يقال أسف الرجل فهو أسيف وآسف وإذا اقترن الأسف مع الغضب يراد به الحزن ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ **الأعراف: ١٥٠**. و إن شرطية، والجملة بعدها فعل الشرط، والجواب محذوف؛ ثقة بدلالة ما سبق عليه . وهذا قول الجمهور . وقيل الجواب فَلَعَلَّكَ المذكور.

وفي إعراب أَسَفًا وجهان: أحدهما أنه حال منصوب باعتباره مصدرا لفعل مقدر أي تأسف أسفا، والوجه الثاني: أنه مفعول لأجله من باخع نفسك (٧)، وهو الأقرب.

وقد أفاد قوله تعالى: فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا

---

(١) انظر أضواء البيان ١٤/٤.
(٢) انظر المحرر الوجيز ٣٦٤/١٠.
(٣) انظر أضواء البيان ١٤/٤ .
(٤) انظر معاني الزجاج ٢٦٨/٣ ، روح المعاني ٢٠٥/١٥.
(٥) المحرر الوجيز ٣٦٥/١٠ .
(٦) تفسير ابن كثير ١٣٣/٥.
(٧) انظر معاني الزجاج ٢٦٨/٣ ، وروح المعاني ٢٠٥/١٥ ، والتحرير ٢٥٥/١٥ .

أن نبي الله يسعى ويجتهد في هداية الناس إلى صراط الله المستقيم، لكن قد يمتنع المشركون عن الاستجابة لدعوة التوحيد، ويصرون على الكفر، وهذه سنة الله في الابتلاء في هذه الدنيا **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**، ولله الحكمة البالغة،ولو شاء لهدى الناس جميعا، فلا يكون هذا الإعراض من المشركين سببا في حزن النبي أو أسفه عليهم، كما أنه لا يكون سببا في تسرب اليأس أو الإحباط إلى الدعاة والمصلحين حين لا يجدون كبير استجابة من الناس؛لأن المقصود هو بذل الجهد في الدعوة والإصلاح على المنهج الصحيح الذي لا عوج فيه، وأما التوفيق فبيد الله تعالى وحده .

قوله تعالى: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا** : الذي يظهر أن هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على إعراض المشركين، مع حرصه الشديد على هدايتهم . فهذه الآية تعليل للنهي الذي تضمنته الآية السابقة؛ إذ بين تعالى هنا أنه خلق هذه الأرض، وزينها، وأخرج منها أنواع المنافع والمصالح؛ من أجل ابتلاء الخلق بهذه التكاليف، ثم إنهم يكفرون ويتمردون مع ذلك، فلا يقطع الله عنهم مواد هذه النعم، فأنت يا محمد ينبغي لك أن لا تنتهي في الحزن بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق؛ فإنما أنت بشير ونذير، وهذا النعيم لن يدوم؛ لأنه لابد من دار أخرى يجازى فيه كل بما قدم في دار الاختبار [1]. وقوله:**زِينَةً** هذا عام في كل ما تتزين به الأرض وأهلها[2]. وقد صرح القرآن في مواضع أخرى ببعض الأفراد الداخلة في هذا العموم كقوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا** ﴾الكهف: ٤٦، وقوله: ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً** ﴾ النحل: ٨ [3]. وقوله: **أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** أي ما تحقق فيه شرطان: الإخلاص لله تعالى، والثاني: أن يكون العمل وفق شرع الله تعالى.

وقد جاء قوله تعالى: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** على أسلوب الإعجاز؛ حيث تضمنت لفظا، يجمع معاني كثيرة، يصلح لها، لأغراض مختلفة، مقصودة في الآية؛ فإن الإخبار عن خلق ما على الأرض زينة يجمع الامتنان على الخلق والتذكير ببديع صنع الله ؛ إذ أوجد هذا العالم على أتقن مثال ملائم لما تحبه

(١) انظر تفسير الرازي ٨٠/٢١ ، والتحرير ٢٥٦/١٥.
(٢) انظر: أضواء البيان ٢٠٣/٣.
(٣) انظر تفسير القرطبي ٣٥٤/١٠ . أضواء البيان ١٦/٤ .

النفوس من الزينة والزخرف . والآيات في هذا المعنى كثيرة . ولا تكون الأشياء زينة إلا إذا بثت فيها الحياة التي بها نماؤها وازدهارها. ومن لوازم هذه الزينة أنها توقظ العقول إلى النظر في وجود منشئها، وتسبر غور النفوس في مقدار الشكر لخالقها الذي جعلها لهم، فمنهم شاكر ومقصر وكافر. ومن لوازمها أيضا أنها تثير الشهوات لاقتطافها وتناولها، فينشأ عن ذلك كيفيات مختلفة في تناولها والاستيثار بها، مما يفضي إلى تغالب الناس بعضهم بعضا واعتداء بعضهم على بعض . وهذا أوجد حاجتهم إلى الشرائع؛ لتضبط لهم أحوال معاملاته .

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ : المراد بالصعيد في اللغة هو المستوي، وقيل هو وجه الأرض ومنه قيل للتراب صعيد؛ لأنه وجه الأرض،والجرز هي التي لا نبت فيها [1]، قال العوفي عن ابن عباس في معناها يقول: يهلك كل شيء عليها ويبيد، وقال قتادة: الصعيد الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات، وقال ابن زيد: الصعيد الأرض التي ليس فيها شيء؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ السجدة: ٢٧ [2].

ثانيا: صلة مقدمة السورة بقصة أصحاب الكهف

بيان ذلك من وجوه:

الأول: أنه لما طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بخبر أصحاب الكهف، باعتباره آية عجيبة، تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم؛ نزل القرآن بهذا الخبر، لكنه قدم بمقدمة يمتن فيها على نبيه – صلى الله عليه وسلم – بإنزال القرآن؛ ليشير إلى أنه آية أجل وأعظم من قصة أحاب الكهف، بل هو الآية الكبرى، الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن كمال العباد وصلاح أحوالهم في الدارين لا يتحقق إلا بالتزام هدي هذا القرآن العظيم .

الثاني: أشاد الله بكتابه وأنه حق وصدق كله بقوله:﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ ؛ تهيئة لما سيتلى من القصص – وفي مقدمتها قصة أصحاب الكهف – وأنها أخبار صدق، لا يتطرق إليها أدنى عوج أو نقص البتة .

الثالث: أن الله تعالى أشار في مقدمة السورة إلى يوم البعث – الذي يكذب

(١) انظر غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٢٣.
(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٣٤/٥ .

بـه المشـركون ـ في قولـه تعـالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾، ثم ذكر في قصة أصحاب الكهف دليلا على هذا البعث ووقوعه .

الرابع: ختمت مقدمة السورة بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وأن الدنيا دار ابتلاء، ومنه الابتلاء بالدين؛ فذكر قصة أصحب الكهف أنموذجا لهذا الابتلاء .

المبحث الثاني
منهج القرآن في عرض قصة أصحاب الكهف.

لقد تناول القرآن قصة أصحاب الكهف، فسلك في عرضها منهجا فريدا، يمكن بيان معالمه على النحو التالي:

أولا: قدم للسورة بما يعد براعة استهلال لقصصها وموضوعاتها، وجاءت هذه المقدمة مدخلا مناسبا لقصة أصحاب الكهف، بين الله تعالى فيها: مكانة القصة، والغرض منها . فنوه بالقرآن الذي هو مصدر هذه القصة، وأشاد به على التفصيل، وأن سر عظمته أنه حق من عند الله، أنزله على لسان أشرف رسله؛ فقال:**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا** .

ثانيا: لا ريب أن قصة أصحاب الكهف آية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته . ولكن القرآن وضع هذه الآية العجيبة في موضعها الصحيح، وبين منزلتها من بين آيات الله القرآنية والكونية قبل الشروع في تناولها وعرض مشاهدها؛ فقال: **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا** .

ثالثا: تناول القرآن قصة أصحاب الكهف أولا بإيجاز، تضمن أهم ما قام به الفتية من عمل؛ للسلامة من فتنة قومهم لهم . كما تناول أهم ما صنع الله بهم؛ ليكونوا عبرة لمن بعدهم، وليبين لعباده كماله تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله؛ فقال عز وجل:**إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا** .

رابعا: دل سبب النزول على أن هذه القصة كانت من القصص العجيبة المشهورة، لكن الناس مضطربون فيها، والمصدر في ذلك هم أهل الكتاب، الذين غيروا وبدلوا في كتبهم؛ فلم يعد مصدرا موثوقا.

لذا أكد القرآن قبل الشروع في تفصيل القصة صدقها وصدق مصدرها، وعظم نفسه تبارك وتعالى؛ فهو المخبر بها بالحق الذي لا ريب فيه؛ ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ فقال عز شأنه: **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ**

خامسا: تناول القرآن القصة – بالتفصيل – على هيئة مشاهد، وقدم

بالتعريف برموز القصة؛ فذكرهم بأهم وصفين مؤثرين لهما: الفتوة، والإيمان؛ فقال عز وجل: **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا** ... الآيات .

سادسا: أدمج القرآن – كعادته في القصص ــ الدروس والعبر مع مشاهد القصة وأحداثها.

وهذه الدروس تارة تكون من الله تعالى تعقيبا على حدث معين، كقوله تعالى يعد مشهد تسخير الآيات لأهل الكهف: **ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**. وكقوله: **وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ** ﴿ ثم ذكر بعدها علة ذلك، فقال: **لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ** .

وقد يكون الحدث تاليا للعبرة المقررة؛ فهو كالدليل عليها، كقوله تعالى: **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** ... ثم ذكر المشهد .

وتارة تجيء العبرة على لسان أصحاب الكهف أنفسهم، كقولهم عن قومهم الكافرين: **هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً** ، ثم عقبوا على ذلك مباشرة بذكر الدرس، فقالوا: **لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا** . وكقول بعضهم لبعض : **فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** ﴿ ثم ذكروا علة ذلك، فقالوا: **إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا** .

سابعا: عقب القرآن على القصة بآيات، الغرض منها: بيان أن الوحي هو المصدر الوحيد الموثوق في معرفة حال أهل الكهف وعددهم وما جرى لهم، لا ما ينقل عن أهل الكتاب من أخبار، لا يوثق بها، قد اختلط الحق فيها بالباطل . وكذلك بيان تفرد الله عز وجل بكماله بأسمائه وصفاته وأفعاله، واختصاصه تعالى بالعلم بأحوال أهل الكهف وعددهم ومدة مكثهم ...؛ فقال تبارك وتعالى: **قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ**، وختم التعقب بقوله: **قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا** .

المبحث الثالث
قصة أصحاب الكهف بإيجاز

تجيء قصة أصحاب الكهف بعد مقدمة السورة أنموذجا للابتلاء في الدين كما تقدم . لكنها تعرض في البداية بإجمال وإيجاز [1] .

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ الكهف: ٩ -١٢ .

ولما كان إيراد هذه القصة في القرآن إنما كان – كما تقدم في سبب النزول – باعتبارها آية على صدق الرسول الله صلى الله عليه وسلم في رسالته؛ افتتحها بما يبين منزلتها إزاء بقية الآيات الدالة على نبوته؛ فقال تبارك وتعالى: **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** . أي أن قصة أصحاب الكهف وإن كانت آية عجيبة من آيات الله تعالى، الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته – فإن الأعجب من ذلك: خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والكواكب، وما في ذلك من الآيات . بل القرآن والسنة وما فيهما من الحجج والبراهين الدالة على أسماء الله الحسنى وصفاته التي بلغت أقصى درجات الكمال–لهي أكثر عجبا ودلالة على أن الله تعالى هو وحده المستحق للعبادة .

والآية فيها تعريض بعناد كفار قريش وغفلتهم؛ فإنَهم سألوا عن عجيب، وكفروا بما هو أظهر وأعجب .

والكهف هو الغار الواسع في الجبل، وهو الذي لجأ إليه الفتية المذكورون .

وأما الرقيم فاختلف فيه، والراجح هو ما ثبت عن ابن عباس أن المراد به الكتاب، فرقيم: فعيل بمعنى مفعول، أي: مرقوم مكتوب . وهو اختيار الطبري وابن كثير . قال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة، كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف [2] .

وذكر الرقيم يشير إلى أن قصة أصحاب الكهف من القصص التي شاع ذكرها

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١٣٤/٥ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ، وزاد المسير لابن الجوزي ٦٦/٣، تفسير ابن كثير ١٣٥/٥ ، وأضواء البيان ١٩/٤ .

في تاريخ من مضى . وعليه فأصل القصة صحيح، لكن القرآن اختص بأنه المصدر الوحيد الحق في بيان تفاصيلها وعبرها العظام .

وقوله: **أَمْ حَسِبْتَ**: أم هي المنقطعة، المقدرة ببل والهمزة عند الجمهور، وببل وحدها عند بعضهم، والتقدير: بل أحسبت، أو بل حسبت، ومعناها الانتقال من حديث إلى حديث آخر، لا لإبطال الأول والإضراب عنه. وقوله: **عَجَبًا** صفة لمحذوف، أي: آية عجبا. وقوله: **مِنْ ءَايَٰتِنَا** في محل نصب حال [1].

ثم أوجز القرآن خبر أهل الكهف في ثلاث آيات، تناولت أهم الأحداث الدالة على أن قصتهم آية من آيات الله العجيبة .

فالآية الأولى كشفت عن صنيعهم بأنفسهم، والثانية والثالثة كشفت عن صنيع الله بهم .

لقد بين الله عز وجل في آية واحدة أهم أمرين قام بهما أصحاب الكهف– لما أراد قومهم أن يفتنوهم عن دينهم– فقال :**إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**

فالأمر الأول هو أنهم فروا بدينهم من قومهم؛ لئلا يفتنوهم عنه، ولجؤوا إلى كهف؛ ليختفوا فيه، ويتخذوه مأوى ومكاناً لهم . فهذا معنى قوله: **إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ** .

و **إذ** : ظرف متعلق بـ**كَانُوا** أو بـ**عَجَبًا** ، أو بفعل محذوف تقديره اذكر [2].

والفتية جمع قلة لفتى، أي: شباب . وهذا من الإظهار في مقام الإضمار؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: إذ أووا؛ لما يدل عليه لفظ الفتية من كونهم أترابا متقاربي السن، مع فتوتهم، أي: اكتمال رجولتهم، وسداد رأيهم، ورباطة جأشهم، ودفاعهم عن الحق [3]. كما أن لفظ الفتية هنا يشير إلى أن إقبالهم على الله تعالى وتضحيتهم بشهوات الدنيا وملذاتها مع تعلق نفوسهم بها، كما هي العادة لأمثالهم – يؤيد كون قصتهم آية من آيات الله .

والأمر الثاني أنهم ابتهلوا إلى الله بهذا الدعاء الجامع في طلب مسألتين، **فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** .

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٢٧١/٣ .
(٢) انظر روح المعاني ٢٠٠/٨، والتحرير والتنوير ٢٦٦/١٥ .
(٣) انظر التحرير والتنوير ٢٦٦/١٥.

فسألوا الله أولا: رحمة من لدنه، أي من عنده، وتقديم **مِن لَّدُنكَ** للاختصاص، وهو يشير إلى شدة تعلقهم بربهم وحسن ظنهم به وصدق توكلهم عليه . والتنوين في **رَحْمَةً** للتعظيم والتنويع؛ فالرحمة هنا تشمل: الهدى، والثبات، والرزق، والمغفرة، والحفظ مما هربوا خائفين منه.

وسألوا الله ثانيا: أن يهيئ لهم من أمرهم رشدا . والتهيئة: التقريب، والتيسير . و **مِن** في قوله: **مِنْ أَمْرِنَا** ابتدائية، أي اجعل لنا أمرنا رشدا كله. والرشد: الاهتداء وإصابة الحق والعمل به والديمومة عليه . (١).

والراشدون هم المؤمنون الكمَّل؛ كما قال عز وجل: ﴿ **وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ** ﴾ **الحجرات:** ٧ . فهذا الحب الشديد للإيمان – اعتقادا وقولا وعملا– الذي غرسه الله في قلوبهم، وبغضهم الشديد لكل ما يناقضه أو ينقصه — انتهى بهم إلى الرشد التام .

ثم إن هذه الرحمة المقارنة للرشد عاجلة وآجلة.

فأما العاجلة فما يعطيهم الله تعالى في الدنيا من محبة الخير والبر، وذوق طعم الإيمان، ووجد حلاوته، والفرح والسرور بأن هداهم الله تعالى لما أضل عنه غيرهم، ولما اختلف فيه من الحق، فهم يتقلبون في نور هداه، ويمشون به في الناس، ويرون غيرهم متحيرا في الظلمات، فهم أشد الناس فرحا بما آتاهم ربهم من الإيمان.

وأما الآجلة فما ينتظرهم من رضوان الله والجنة؛ كما قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ** ﴾ **آل عمران: ١٤ - ١٥.**

والرحمة التي تحصل لمن رشد، هي بحسب رشده، فكلما كان نصيبه من الرشد أتم؛ كان حظه من الرحمة أوفر. وأيضا كلما اتسع علمه اتسعت رحمته، وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما. فوسعت رحمته كل شيء، وأحاط بكل شيء علما، فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ١٦٨/٢، وفتح القدير ٢٧٢/٣ ، وأضواء البيان ٢١/٤ ، والتحرير والتنوير ٢٦٦/١٥ .

وإذا انقاد العبد للقرآن هداه للرشد الذي يعلم به مصلحة نفسه وأسباب نجاتها وسعادتها .

قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ﴾ الجن: ١ – ٢.

وبهذا يتبين للمتأمل علو همة هؤلاء الفتية، ونفاسة مطالبهم وجمعيتها وعظيم أثرها عليهم.

بيد أن الجدير بالذكر هنا هو أن هذا التضرع من الفتية لربهم ينطوي على سعي جاد وسؤال ملح للسلامة من فتنة الشبهات والشهوات؛ لأن تحصيل الرحمة والرشد لا يكون إلا بالنجاة من هاتين الفتنتين .

قال ابن القيم :" إذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات؛ حصل له أعظم غايتين مطلوبتين، بهما سعادته وفلاحه وكماله، وهما: الهدى، والرحمة. قال تعالى عن موسى وفتاه: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ الكهف: ٦٥؛ فجمع له بين الرحمة والعلم . وذلك نظير قول أصحاب الكهف: رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ؛ فإن الرشد هو العلم بما ينفع، والعمل به "اهـ .

مما تقدم يتضح أن هذه الآية قد تضمنت – على وجازتها – خلاصة عبر القصة ودرسها الكبير.

لقد دلت على سبب عظيم من أعظم أسباب العصمة من الفتن، وهو: أن هؤلاء الفتية الأطهار قد بذلوا أقصى ما يستطيعونه من أسباب في الفرار من الفتنة؛ فأووا إلى الكهف واستخفوا فيه . ولكنهم لم يركنوا إلى هذا السبب – رغم ما أشاعه في نفوسهم من اطمئنان – ولا إلى غيره من الأسباب، ولا إلى آرائهم وعقولهم، بل توجهوا إلى ربهم بالدعاء والتضرع: رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ؛ فكانت قلوبهم معلقة بربهم وبهدايته ورحمته، لا بالأسباب مهما عظمت .

ثم بينت الآية الثانية والثالثة أن الله استجاب دعاء هؤلاء الفتية وتضرعهم؛ فصنع الله بهم أمرين، صارا آية من آياته الدالة على عظيم قدرته ورحمته وحكمته.

أما الأمر الأول: فهو الضرب على آذانهم : فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا أي: أنمناهم إنامة ثقيلة، لا توقظهم فيها الأصوات . والضرب على الآذان كناية عن كونه أنامهم، والمفعول محذوف أي ضربنا على آذانهم الحجاب تشبيها للإنامة الثقيلة المانعة من وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها.

وقوله: **فِي ٱلْكَهْفِ** ظرف لقوله: **فَضَرَبْنَا** . وانتصاب **سِنِينَ** على الظرفية، و **عَدَدًا** صفة لـ **سِنِينَ** ،أي سنين ذات عدد كثير . ونظيره ما في حديث بدء الوحي من قول عائشة : (**فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ**) (١). تريد الكثيرة . وقد أجمل العدد هنا تبعاً لإجمال القصة (٢).

وأما الأمر الثاني: فهو بعثهم بعد رقدة طويلة: **ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا** ۝ أي: أيقظناهم من تلك النومة؛ لنعلم أي الحزبين أتقن إحصاء . ومعنى **لِنَعْلَمَ** أي: ليظهر معلومنا للناس، وهذا لا ينافي أن الله عالم به قبل ذلك دون خلقه (٣). و **أَمَدًا** أي غاية، وهو تمييز لاسم التفضيل **أَحْصَىٰ** (٤).

والحزبان: الفريقان . والحزب هو الجماعة الذين توافقوا على شيء واحد .

واختلف المفسرون في المراد بالحزبين في الآية .

قال ابن عطية: " والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية؛ إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين" اهـ (٥).

ورجح السعدي والشنقيطي أن الحزبين كليهما من أصحاب الكهف؛ لأن خير ما يفسر به القرآن القرآن، وذلك في قوله: **قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ** ۝ وكأن الذين قالوا: **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ** هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول (٦).

واستبعد الطاهر ابن عاشور هذا القول؛ لأن أهل الكهف لم يكونا حزبين، ولأنهم ما قصدوا الإحصاء لمدة لبثهم عند إفاقتهم، بل خالوها زمناً قليلاً . قال: "

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٤/١ في باب بدء الوحي- حديث رقم ٣، ومسلم في صحيحه ١٣٩/١ في كتاب الإيمان – باب بدء الوحي- حديث رقم ١٦٠ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧١/٣، وفتح القدير ٢٧٢/٣، وأضواء البيان ٢٢/٤، والتحرير والتنوير ٢٦٩/١٥.

(٣) و **أَىُّ** اسم استفهام مبتدأ، وهو معلِّق لفعل **لِنَعْلَمَ** عن العمل، وخبره أحصى . انظر فتح القدير ٢٧٢/٣ ، وأضواء البيان ٢١/٤ ، والتحرير والتنوير ٢٦٦/١٥ .

(٤) انظر: فتح القدير ٢٧٢/٣ ، وأضواء البيان ٢١/٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥٠٠/٣ . وانظر: تفسير القرطبي ٣٦٤/١٠ .

(٦) انظر تفسير السعدي ص٤٧١، وأضواء البيان ٢٠٨/٣.

فالوجه : أن المراد بالحزبين حزبان من الناس أهل بلدهم اختلفت أقوالهم في مدة لبثهم بعد أن علموا انبعاثهم من نومتهم، أحد الفريقين مصيب والآخر مخطئ، والله يعلم المصيب منهم والمخطئ، فهما فريقان في جانبي صواب وخطأ، كما دل عليه قوله : أَحْصَىٰ " (١).

ولعل هذا هو الأقرب، ويؤيده أن الناس في زمانهم قد أهمهم خبر أهل الكهف، وعُنوا به، بدلالة قوله:وَٱلرَّقِيمِ في الآية الأولى، وهو كما تقدم عبارة عن سجل، قد جُمِع فيه أهم أخبارهم، ومنها مدة لبثهم، التي تعد من أعجب قصتهم، وأقواها دلالة على مقاصد القصة، لاسيما الدلالة على البعث في الآخرة . ولهذا تكرر الحديث عن مدة لبثهم في أربع آيات من القصة: في هذه الآية، وفي قوله:قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ....، وقوله: وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ....، وقوله: قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ .

(١) التحرير والتنوير ٢٦٩/١٥ .

المبحث الرابع
أحداث القصة ومشاهدها بالتفصيل

قال الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ❁ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ۖ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الكهف: ١٣ – ٢٦ .

وبعد الإيجاز شرع القرآن باستعراض أحداث قصة أصحاب الكهف بالتفصيل، واستهله في آيته الأولى بما يعد براعة استهلال؛ فبدأ الآية بجملة تتناول مصدر هذه القصة وتعظمه وتزكيه، وأن ما جاء في القرآن من خبر أهل الكهف هو الحق الذي لا ريب فيه، فقال تبارك اسمه : نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ . وفيه دعوة إلى تعظيم القرآن والإيمان به، وهو من المقاصد الرئيسة في السورة، ولذا كان افتتاح السورة به وتبجيله ونفي العوج عنه من بدائع براعات الاستهلال .

وإيثار ذكر هذه الجملة هنا عند البدء بتفصيل القصة دون إيجازها مناسب؛ لما

في التفصيل من دقائق وأحوال يجدر بأن يؤكد على أنها كلها حق .

ثم بدأ الحديث عن القصة بالتفصيل، ولعلي أسلك في بيان آياتها مسلكا يجمع بين البيان والتصوير والتشويق؛ بتقسيم القصة إلى مشاهد، كما جاءت في القرآن .

المشهد الأول : يحكي تحول أصحاب الكهف إلى الإيمان وأسباب ذلك

قال الله تعالى: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى

لقد أفادت عبارات المفسرين لهذا الشطر من الآية أن أصحاب الكهف كانوا شباباً [1]، من بيوت الكبار الأغنياء، وكانوا في رغد من العيش، لكنهم كانوا في مجتمع شرك وضلال، فآمن هؤلاء الشباب بالله وحده ربا، فزادهم الله هدى وتقوى [2].

لكن كيف آمن هؤلاء الفتية ؟

الآية أجملت هذا الأمر، واقتصرت على خلاصته وثمرته، ولم تصرح بكيفية تحولهم إلى الإيمان والهدى .

بيد أن قوله تعالى: **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ** يشير إلى المشهد الذي صار فيه تحولهم إلى الإيمان.

" وذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت، ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد، كان يأمر الناس بذلك، ويحثهم عليه، ويدعوهم إليه. فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض . فجعل كل واحد منهم يتخلص

---

(١) والشباب أقبل للحق،وهم الذين تقوم عليهم الدعوات، وبهم تنصر وتنتشر . قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية :" ذكر تعالى أنهم فتية –وهم الشباب–وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعَسَوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبابًا. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بَقُّوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل" اهـ .

(٢) انظر تفسير الرازي ٤٤١/٢١، وتفسير ابن كثير ١٤٠/٥، وروح المعاني ٢٠٦/٨ .

من قومه، وينحاز منهم، ويتبرز عنهم ناحية. فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، وجاء الآخر فجلس إليهما، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر، وجاء الآخر، وجاء الآخر، ولا يعرف واحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان . وجعل كل أحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه، خوفًا منهم، ولا يدري أنهم مثله، حتى قال أحدهم: تعلمون –والله يا قوم–إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم، إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره. فقال آخر: أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه، فعرفت أنه باطل، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق كل شيء: السموات والأرض وما بينهما. وقال الآخر: وأنا والله وقع لي كذلك. وقال الآخر كذلك، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة، فصاروا يدًا واحدة وإخوان صدق" (١).

وقد امتدح الله أصحاب الكهف بقوله:**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ** .

والله عز وجل يحب الشاب المؤمن المقبل على طاعة الله تعالى؛ فلم تلهه الدنيا – رغم شبابه – بزينتها وزخرفها .

ويؤيد هذا المعنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**)، وذكر منهم: (**وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ**) (٢).

وفي قوله:**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ** إظهار في موضع الإضمار . لعل الغرض منه الإشارة إلى أن فتوتهم سبب في إيمانهم.

وعليه؛ فتكون الجملة الاسمية الأولى علة للجملة الفعلية الثانية .

وربما يرد هنا سؤال جدير بالنظر والإجابة، وهو: إذا كان هؤلاء الفتية من بيوت الملوك والأغنياء؛ فلماذا أهمل القرآن هذا الحال الذي كانوا عليه عند تحولهم للإيمان، واكتفى بوصفهم بالفتوة؟

ربما يقال: إذا ثبت ما ذكره المفسرون من أنهم كانوا من أبناء الملوك والأغنياء؛

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/١٤٠، باختصار . وانظر: الدر المنثور ٥/٣٦٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/١٦٣ –كتاب الحدود – باب فضل من ترك الفواحش – حديث رقم ٦٨٠٦، ومسلم في صحيحه ٢/٧١٥ –كتاب الزكاة – باب فضل إخفاء الصدقة – حديث رقم ١٠٣١ .

فيكون اقتصار القرآن على وصفهم بالفتوة؛ إشارة إلى أنه السبب المؤثر في تحولهم للإيمان.

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾:" ذكر تعالى أنهم فتية –وهم الشباب–وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعَسَوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبابًا. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بَقُوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل"اهـ[1]

وأما كون هؤلاء الفتية من أبناء الأكابر والأغنياء؛ فهذا في الغالب وصف سلبي؛ فهو من أسباب الإعراض عن الحق والإيمان، إلا من رحم الله، كما أنه لا يناسب المقام؛ لأن الغرض من الجملة مدحهم والإشارة إلى سبب تحولهم للإيمان .

وقوله:﴿ءَامَنُوا۟﴾. قال الحافظ ابن كثير:" أي: اعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنه لا إله إلا هو" [2].

وقوله:﴿بِرَبِّهِمْ﴾، أي: بربهم الذي رباهم بنعمه الجليلة، المحسن إليهم، الناظر في مصالحهم، الذي تفرد بخلقهم ورزقهم، وهداهم بما وهب لهم في أصل الفطرة من العقول الجيدة النافعة [3].

وتضمن إيمانهم بربهم في قوله:﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ : الإيمان بأمره ونهيه، ورسله، ووعده ووعيده، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وصدق وعده، والخوف من وعيده، واستجابتهم لأمره . فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالى [4].

ولهذا قال:﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾، بنون العظمة؛ بيانا لعظيم امتنانه تبارك وتعالى، وتكريما لهؤلاء الفتية الذين آمنوا بالله وحده لا شريك له؛ فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى . فلما كان عندهم أصل الاهتداء إلى الإيمان؛ زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح . كما قال تعالى:﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ مريم: ٧٦، وكقوله:﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ محمد: ١٧ [5].

وهذا يدل على أن العلم النافع والعمل الصالح من أعظم أسباب العصمة

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/١٤٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ٥/١٤٠ .
(٣) انظر : نظم الدرر للبقاعي ١٢/٢١.
(٤) انظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٨٩ .
(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٥/١٤٠، وتفسير السعدي ص٤٧١ .

من الفتن .

المشهد الثاني: يحكي تثبيت الله للفتية عندما صدعوا بالحق أمام قومهم .

قال الله تعالى: وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .

أكثر المفسرين على أن قوله: **إِذْ قَامُوا** أي بين يدي ملك بلادهم الجبار الذي كان يعبد الأوثان(١).

قال الإمام الطبري: " وقوله: **إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**، يقول: حين قاموا بين يدي الجبار دقيانوس، فقالوا له؛ إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته: **رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** " (٢).

وقال البغوي: " **إِذْ قَامُوا** : بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، **فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا** . قالوا ذلك؛ لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان" (٣).

ففروا بدينهم وصبروا على فراق الأهل والنعيم، وقد نوه القرآن بهم على ما صدر منهم من مواقف إيمانية صلبة أمام زعماء قومهم المشركين، دلت على رسوخ إيمانهم واستقرار حقيقة التوحيد في قلوبهم؛ لأن الله كان معهم، فربط على قلوبهم، وثبتها.

قال ابن القيم:" وقد استشهد صاحب المنازل بقوله تعالى في أهل الكهف: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ﴾ **الكهف: ١٤** . وهذا من أحسن الاستدلال والاستشهاد؛ فإن هؤلاء كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر، فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق وذاقوا حلاوته وباشر قلوبهم؛ فقاموا من بين قومهم، وقالوا: **رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ..الآية . والربط على قلوبهم يتضمن الشد عليها بالصبر والتثبيت، وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان، حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض

(١) انظر: أضواء البيان ٢٩/٤ .
(٢) تفسير الطبري ٢٠٧/١٥ .
(٣) تفسير البغوي ١٥٣/٣ .

العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف . والربط على القلب عكس الخذلان؛ فالخذلان حله من رباط التوفيق؛ فيغفل عن ذكر ربه، ويتبع هواه، ويصير أمره فرطا . والربط على القلب شده برباط التوفيق؛ فيتصل بذكر ربه، ويتبع مرضاته، ويجتمع عليه شمله "اهـ[1].

وقوله: لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا استئناف بياني لما أفاده توكيد النفي بـ**لَن**[2].

وقوله: **شَطَطًا** أي: قولا ذا شطط، أو هو من النعت بالمصدر؛ للمبالغة، كأن قولهم نفس الشطط. والشطط أصله مجاوزة الحد، مشتق من الشط، وهو البعد عن الموطن، والمراد بالشطط: هو البعد عن الحق والصواب، أي: ميلا عظيما عن الحق، وإليه ترجع أقوال المفسرين . وهذا يدل على كمال معرفتهم بربهم وزيادة الهدى من الله لهم وشدة تمسكهم بدينهم[3].

ولذا فإن الفتية الأطهار – في هذا المشهد– لم يتوقفوا عند حد الثبات على عقيدتهم، بل انطلقوا بقوة يمقتون قومهم، وينكرون ما هم عليه من الشرك والظلم العظيم، وأنه لا يستند إلى برهان، بل هو عين الكذب والافتراء، فقالوا: **هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا** . وقوله: **هَٰٓؤُلَآءِ** مبتدأ و **قَوْمُنَا** عطف بيان أو بدل، وجملة **ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً** هي الخبر، وهو خبر بمعنى الإنكار[4]. وجملة: **لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ** مؤكدة للإنكار[5]. و **لَّوْلَا** حرف تحضيض، ولكن المراد به هنا الإنكار والتعجيز والتبكيت، أي هلا يأتون بحجة ظاهرة إن استطاعوا، فإذ لم يفعلوا فقد تأكد أنهم أقاموا اعتقادهم على الظلم والافتراء[6].

---

(١) مدارج السالكين ٦٧/٣ . ويعني بصاحب المنازل، أي: منازل السائرين لأبي إسماعيل عبد الله الهروي (ت:٤٨١)، وقد شرحه ابن القيم في كتابه: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧٣/١٥ .

(٣) انظر تفسير السعدي ١٥/٥ ، وأضواء البيان ٣٠/٤ ، والتحرير ٢٧٤/١٥.

(٤) انظر الكشاف ٧٠٧/٢ ، والدر المصون ٤٤٠/٤.

(٥) انظر التحرير ٢٧٤/١٥ .

(٦) انظر الكشاف ٧٠٧/٢ ، وروح المعاني ٢١٠/٨، وأضواء البيان ٣١/٤ ، والتحرير ٢٧٥/١٥.

إن الله تعالى ليربط على قلوب أوليائه، المعتزين بربوبيته، العارفين لحقوقه، القائمين له بصدق، ويثبتهم، ويزيدهم علما وبصيرة بالباطل؛ فيمقتونه أشد المقت، ويصدعون بالحق لا يخافون لومة لائم.

ولعمروا الله فإن من كان كذلك لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، كما قال حذيفة رضي الله عنه في حديث الفتن (١).

المشهد الثالث : وفيه يتشاور الفتية فيما بينهم في كيفية اتقائهم لفتنة قومهم

قال الله تعالى: وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا

التفات من الغيبة إلى الخطاب، يشير إلى قربهم من ربهم الرحيم، وعظيم عنايته تعالى بهم .

ومعنى الآية :" قال بعضهم لبعض: إذ حصل لكم اعتزال قومكم في أجسامكم وأديانكم، فلم يبق إلا النجاء من شرهم، والتسبب بالأسباب المفضية لذلك؛ لأنهم لا سبيل لهم إلى قتالهم، ولا بقائهم بين أظهرهم، وهم على غير دينهم، **فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ** أي: انضموا إليه واختفوا فيه؛ **يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**" (٢). أي: يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم ومالك أمركم الذي هداكم للإيمان – من رحمته في الدارين، ويسهل وييسر لكم من أمركم الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين والتوجه التام إلى الله تعالى ما ترتفقون وتنتفعون به . و **مِّرْفَقًا** مفعول يهيئ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٢٨– حديث رقم ١٤٤ عن حذيفة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**).

(٢) قاله السعدي في تفسيره ص ٤٧٢ .

ومفعول ينشر محذوف، تقديره الخير [1].

والحاصل أن الآية الكريمة تصور لنا تشاور أهل الكهف فيما بينهم فيما ينبغي لهم أن يسلكوه مع قومهم حتى لا يفتنوهم عن دينهم [2].

فإنه لما استقرت حقيقة الإيمان في قلوب هؤلاء الفتية الصالحين؛ اعتزلوا قومهم أولا عزلة شعورية بقلوبهم وإيمانهم، وامتازوا عنهم بسلوكهم وأعمالهم .

وحتى لا ينكشف أمرهم ويتقوا فتنة قومهم؛ كان لابد لهم من عزلة مكانية بأبدانهم؛ طمعا في رحمة ربهم، ولعل الله أن يهيئ لهم من أمرهم يسرا [3].

ولذلك فإنهم لما أووا إلى الكهف – كما تقدم في المبحث السابق – ابتهلوا إلى الله تعالى بذلك الدعاء الخاشع، **فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** [4].

و **ما** في قوله: **وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ** موصولة أو مصدرية، والجملة في محل نصب؛ لأنها معطوفة على الضمير المنصوب والمعنى: واعتزلتم ما يعبدون من دون الله[5].

والاستثناء **إِلَّا ٱللَّهَ** فيه وجهان: الأول أنه متصل بناء على أنهم كانوا يعبدون الله والأصنام وهو اختيار الفراء، والثاني: أنه منقطع باعتبار أنهم كانوا لا يعبدون إلا الأصنام، ولعله الأقرب؛ لقوله تعالى: **هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً** ، ويؤيده أيضا ما

---

(1) انظر روح المعاني ٢٢١/١٥ . وقرأ نافع وابن عامر قوله: **مِّرْفَقًا** بفتح الميم وكسر الفاء **مَرْفِقا**، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء **مِّرْفَقًا** ، ومِرفق بكسر الميم وفتح الفاء يطلق على= = مرفق اليد، وهو أكثر كلام العرب، ويقال للأمر الذي يرتفق به مَرْفِق، و هو من الارتفاق والانتفاع، ويجوز هذا في ذاك وذاك في هذا . انظر معاني الزجاج ٢٧٢/٣ ، ومعاني القراءات للأزهري ص ٢٦٤ ، والتيسير للداني ص ١٤٢ ، والكشاف ٧٠٧/٢.

(2) انظر تفسير الطبري ٢٠٨/١٥، وتفسير السعدي ص ٤٧٢، والتحرير والتنوير ٢٧٣/١٥ .

(3) انظر تفسير ابن كثير ١٣٨/٥، وتفسير السعدي ص ٤٧٢ . و **إذ** في قوله: **وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ** فيها وجهان: الأول أنها للتعليل، أي ولأجل اعتزالكم قومكم وما يعبدونه من دون الله فاتخذوا الكهف مأوى تعتصمون فيه. الوجه الثاني: وهو مذهب الفراء : أن **إذ** مضمنة معنى الشرط، وجوابها قوله: **فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ** . وقيل هو دليل على الجواب أي : إذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا؛ فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا، وإذا أردتم اعتزالهم **فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ** .انظر معاني الفراء ١٣٦/٢،وفتح القدير للشوكاني ٢٧٣/٣، وأضواء البيان ٣٢/٤ .

(4) انظر تفسير السعدي ص ٤٧٢ .

(5) انظر معاني الزجاج ٢٧٢/٣والدر المصون ٤٤٠/٤ .

ورد في مصحف ابن مسعود: وما يعبدون من دون الله [1].

والخلاصة أن اعتزال الفتن بالبدن يعد من أعظم أسباب العصمة منها، والغاية من ذلك هو حماية القلب – ملك الجوارح وأعظمها خطرا – وتجنيبه سمومها وآثارها.

المشهد الرابع:يصور حال أصحاب الكهف وهم رقود وما سخر الله لهم من آيات عجيبة

قال الله تعالى:**وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**

عندما انطلق الفتية إلى الكهف، واستقروا فيه؛ رقدوا – بأمر الله – رقدة طويلة، امتدت أكثر من ثلاثة قرون، وكانت لهم في منامهم هذا آيات عجيبة، تدل على عناية الله تعالى ولطفه بهم .

الآية الأولى: أن الشمس لا تدخل كهفهم إلا بالقدر الذي يحتاجونه، وهم في فجوة ومتسع من الغار . وهذا معنى قوله: **وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ** .

ومعنى قوله:**تَّزَٰوَرُ** أي تميل، كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة [2].

---

(1) انظر معاني الفراء ١٣٦/٢ ، والكشاف ٧٠٧/٢ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٧٤/١٠ ، وروح المعاني ٢٢٠/١٥.

(2) انظر تفسير الطبري ٢٤٤/١٥ ، وتفسير ابن كثير ١٣٩/٥ . وقد قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو: **تَزَّاور**، بتشديد الزاي مع ألف بعدها، وقرأها ابن عامر : تَزوَرُّ، بتسكين الزاي وتشديد الراء، مثل تَحْمَرُّ، والكوفيون قرؤوها: **تَّزَٰوَرُ**، خفيفة الزاي، والمعنى واحد، أي تميل، فمن قرأ **تَّزَٰوَرُ** بالتخفيف، فالأصل: تتزاور فحذفت إحدى التائين؛ استثقالا للجمع بينهما، ومن قرأ **تَزَّاور** ، فالأصل فيه تتزاور، فأدغمت التاء في الزاي، وشددت . ومن القراءات الشاذة لهذا الحرف :{**تزْوار**} مثل: تحمار، وكذلك{**تزوئر**} بهمزة قبل الراء المشددة، كتطمئن . وكل هذه الأبنية مشتق من الزَوَر بالتحريك، وهو الميل عن المكان. ومنه زاره إذا مال إليه . انظر معاني القراءات للأزهري ص ٢٦٤ ، والتيسير للداني ص ١٤٢ ، والنشر لابن الجزري ٣١٠/٢ ،وروح المعاني ٢٢٢/١٥، والتحرير والتنوير ٢٧٨/١٥.

وقوله: ذَاتَ ٱلْيَمِينِ :صفة لمحذوف يدل عليه الكلام، أي الجهة ذات اليمين(١).

وقوله: وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ : أي تنصرف عنهم وتتركهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة. وأصل القرض القطع، فهي تقطعهم، لا تقربهم، مأخوذ من معنى القطيعة(٢).

ولهذا قال أبو هلال العسكري: " ليس في جميع القرآن أبلغ ولا أفصح من هذا، وحقيقة القرض هاهنا: أن الشمس تمسهم وقتا يسيرا، ثم تغيب عنهم، والاستعارة أبلغ؛ لأن القرض أقل في اللفظ من كل ما يستعمل بدله من الألفاظ، وهو دال على سرعة الارتجاع، والفائدة أن الشمس لو طاولتهم بحرها؛ لصهرتهم، وإنما كانت تمسهم قليلا، بقدر ما يصلح الهواء الذي هم فيه؛ لأن الشمس إذا لم تقع في مكان أصلا فسد" اهـ (٣).

قال ابن كثير: "فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال، ولو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة؛ لما دخل منها شيء عند الطلوع، ولا عند الغروب، ولا تزاور الفيء يمينا، ولا شمالا، ولو كان من جهة الغرب؛ لما دخلته وقت الطلوع، بل بعد الزوال، ولم تزل فيه إلى الغروب"اهـ باختصار (٤).

وأتى بالفعل المضارع في قوله:تَّزَٰوَرُ، وقوله:تَّقْرِضُهُمْ؛ للدلالة على تكرر ذلك كل يوم (٥).

وقوله: وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ : الجملة في محل نصب حال، والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح

---

(١) والذات تأتي بمعنى الحقيقة والماهية، كقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾الأنفال: ١، أي أحوال بينكم وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ الأنفال: ٤٣ يعني مضمراتها، والمعنى الآخر لذات، وهو المراد هنا أنها مؤنث ذو بمعنى صاحب، أي الجهة صاحبة اليمين . انظر الكشاف ٧٠٧/٢ ، وتفسير الرازي ١٠٠/٢١ ، والتحرير ٢٧٩/١٥ .

(٢) انظر معاني الزجاج ٢٧٣/٣ ، والكشاف ٧٠٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٣٩/٥ ، والتحرير ٢٧٨/١٥ .

(٣) الصناعتين الكتابة والشعر ص ٢٧٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٣٩/٥.

(٥) انظر التحرير والتنوير ٢٧٨/١٥.

معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم، وقيل: هم في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار(١).

وقوله: **ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ** : أي ما تقدم ذكره بدءاً من قوله: **وَتَرَى ٱلشَّمْسَ** .

وقوله: **مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ** : إذا قلنا أن **مَن** تعود للفتية، فهذا ثناء من الله عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم، فهداهم وربط على قلوبهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية وتحقيق ما أملوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق، وقيل **مَن** هنا عامة، والمراد التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة، ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها(٢).

وقوله: **وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** :أي لا تجد من يتولاه ويدبره على ما فيه صلاحه، ولا يرشده إلى الخير والفلاح؛ لأن الله قد حكم عليه بالضلال، ولا راد لحكمه(٣).

الآية الثانية: أن أعينهم كانت مفتحة حتى لا يسرع إليها البلى . وهو معنى قوله: **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**

والحسبان بمعنى الظن، والأيقاظ جمع يقظ بكسر القاف، بوزن كتف، وبضم القاف بوزن عضُد . وسبب هذا الحسبان – كما قال المفسرون – أن أعينهم منفتحة، لئلا تفسد، فالناظر إليهم يحسبهم أيقاظا (٤).

الآية الثالثة : أن الله تعالى يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال حتى لا تأكلهم الأرض .

قال عز وجل :**وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ** . قال ابن عباس: لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض(٥).

قال السعدي:" والله تعالى قادر على حفظهم من الأرض، من غير تقليب،

---

(١) الكشاف ٧٠٨/٢ ، وانظر الدر المصون ٤٤٢/٤.
(٢) انظر الكشاف ٧٠٨/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٤٠/٥ ، وروح المعاني ٢٢٣/١٥ .
(٣) تفسير السعدي ١٧/٥.
(٤) انظر معاني الزجاج ٢٧٤/٣ ، والكشاف ٧٠٨/٢ ، والتحرير ٢٨٠/١٥، وتفسير السعدي ص ٤٧٢.
(٥) تفسير ابن كثير ١٤٠/٥ .

ولكنه تعالى حكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بمسبباتها."اهـ[1].

وأما كلبهم؛ فقال البغوي في تفسيره:" قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسر ورقد عليها. " اهـ [2].

وهذا متجه بالنظر إلى الغرض من تقليب أصحاب الكهف الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما . لكن يشكل على قول السدي قوله بعد ذلك:**وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**؛ فظاهره أنه لم ينل عناية التقليب كا الفتية، والله أعلم .

وقال الطاهر ابن عاشور:" وعدم تقليب الكلب عن يمينه وشماله يدل على أن تقليبهم ليس من أسباب سلامتهم من البلى وإلا لكان كلبهم مثلهم فيه بل هو كرامة لهم. وقد يقال: إنهم لم يفنوا وأما كلبهم ففني وصار رمة مبسوطة عظام ذراعيه" اهـ [3].

وذكر بعض المفسرين أن المراد بالكلب رجل من أصحاب الكهف، ويستدلون بقراءات شاذة كقراءة:**{وكالبهم باسط ذراعيه بالوصيد}**، وقراءة: **{وكالئهم باسط ذراعيه بالوصيد}**، والصحيح أنه كلب حقيقي، بقرينة قوله: **بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ** ؛ لأنها من صفات الكلب الحقيقي . ومنه حديث أنس المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب**) . وهذا المعنى مشهور في كلام العرب . كما أن قراءة **{كالئهم}** لا تنافي كونه كلبا؛ لأن الكلب يحفظ أهله ويحرسهم، والكلاءة: الحفظ[4].

وأشار بعض المفسرين إلى أن ذكر كلبهم يعود إلى شرف هؤلاء الفتية وعظيم بركتهم.

قال الحافظ ابن كثير:" وشملت كلبَهم بركتُهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال. وهذا فائدة صحبة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن" اهـ [5].

---

(١) تفسير السعدي ص٤٧٢ .
(٢) تفسير البغوي ١٨٥/٥ .
(٣) التحرير والتنوير ٢٨١/١٥.
(٤) انظر الكشاف ٧٠٩/٢ ، وأضواء البيان ٤٢/٤ .
(٥) تفسير ابن كثير ١٤٤/٥ .

ومعنى قوله: **بِٱلْوَصِيدِ**: قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: الوصيد الفناء . وقال ابن عباس في رواية أخرى: **بِٱلْوَصِيدِ**: بالباب، وهو الصحيح، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ**﴾ الهمزة: ٨ أي مطبقة مغلقة، ومن قال: الوصيد الفناء؛ فلا يخالف؛ لأن فناء الكهف هو بابه، والمراد بالباب المدخل الذي يدخل للشيء منه[١].

الآية الرابعة: أن الله جل وعلا ألقى عليهم المهابة؛ فلا يقع عليهم نظر إنسان؛ إلا فزع، وذعر . قال تعالى: **لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا** . وإنما فعل الله بهم هذا ؛ لئلا يدنو منهم أحد، ولا تمسهم يد لامس؛ حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء الله تعالى فيهم؛ لما في ذلك من الحجة البالغة والرحمة الواسعة [٢].

وعليه فمناسبة هذه الجملة لما قبلها: أنه تعالى لما بين في الجمل السابقة حفظه لهم من البلى مدة رقدتهم الطويلة؛ بين هنا حفظهم من الآدميين؛ فأخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره الله عليهم، فلو اطلع عليهم أحد، لامتلأ قلبه رعبا، وولى منهم فرارا، وهذا الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة؛ فم يعثر عليهم أحد، مع قربهم من المدينة جدا، والدليل على قربهم، أنهم لما استيقظوا، أرسلوا أحدهم، يشتري لهم طعاما من المدينة، وبقوا في انتظاره، فدل ذلك على شدة قربهم منها [٣].

قرأ: نافع، وابن كثير: ولملِّئت منهم بتشديد اللام وقرأ الباقون بالتخفيف وهما لغتان يقال ملئ فلان رعبا فهو مملوء و ملِّئ فهو مملَّأ، وقراءة التشديد فيها تأكيد ومبالغة[٤].

وقرأ: ابن عامر، والكسائي: مثقلا **رُعُبا** بضم العين، والباقون بالتخفيف **رُعْبًا** أي بتسكين العين [٥].

لقد دل هذا المشهد على عظيم لطف الله تعالى بمن يفر بدينه إليه ويأوي إلى كنفه الكريم، وأنه عز وجل يسخر له من عجيب أنواع الحفظ والكلاءة والرعاية ما يكون عاصما له من كل فتنة .

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢٤٨/١٥ ، وتفسير ابن كثير ١٤٠/٥ ، وأضواء البيان ٤٢/٤.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١٤٥/٥ .
(٣) انظر: تفسير السعدي ص٤٧٢ .
(٤) انظر حجة القراءات ص ٤١٣ ، ومعاني القراءات للأزهري ص ٢٦٥ ، والكشاف ٧٠٩/٢.
(٥) انظر التيسير للداني ص ٩١ ، والنشر لابن الجزري ٢١٦/٢.

المشهد الخامس : يحكي حال الفتية ومقالاتهم عندما أيقضهم الله بعد رقدتهم الطويلة

استيقظ الفتية من رقدتهم، وكأنهم رقدوا ساعات معدودة، ولم ينكروا شيئا من حالهم داخل الكهف، وصاروا يتساءلون فيما بينهم عن مدة لبثهم .

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير : " يقول تعالى: وكما أرقدناهم؛ بعثناهم، صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئا، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين . ولهذا تساءلوا بينهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾؟ أي: كم رقدتم؟...إلخ"اهـ [1].

فتضمن قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ :مشبها، ومشبها به، ووجه الشبه؛ لأن المعنى: كما أنمناهم هذه الإنامة الطويلة –وهي المفهومة مما تقدم– أيقظناهم . فالمشبه: الإيقاظ، والمشبه به: الإنامة المشار إليها، ووجه الشبه كون كل منهما آية دالة على كمال قدرته تعالى، مؤدية إلى زيادة اليقين، وإلى شكر الله على ما أنعم به وامتن[2].

واللام في قوله: ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾ قيل: هي للتعليل، كقوله تعالى في الآية التي تقدمت: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ ، ولأن التساؤل يكشف لهم من قدرة الله تعالى أمورا عجيبة وأحوال غريبة . وفي الآية إشارة إلى الحث على العلم وعلى المباحثة فيه؛ لكون الله بعثهم لأجل ذلك[3].

وقيل: اللام للعاقبة؛ باعتبار أن الغرض من فعله تعالى هو إظهار كمال قدرته، لا ما ذكر من التساؤل[4].

ثم بين تعالى في هذا المشهد ما دار بينهم من حوار حول مدة لبثهم؛ فقال: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ . فقوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ بيان للتساؤل في قوله : ﴿بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾ [5].

---

(١) تفسير ابن كثير ١٤٥/٥ .
(٢) انظر الكشاف ٧١٠/٢ ، وروح المعاني ٢٢٩/١٥.
(٣) تفسير السعدي ٢٠/٥.
(٤) انظر تفسير الرازي ١٠٣/٢١ ، وروح المعاني ٢٢٩/١٥.
(٥) انظر فتح القدير ٢٧٥/٣ ، والتحرير ٢٨٤/١٥.

وذكر المفسرون – عند قوله: **قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** – أنهم دخلوا الكهف غدوة، وبعثهم الله سبحانه آخر النهار؛ فلذلك **قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا**؛ فلما رأوا الشمس قالوا: **أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**، وكان قد بقيت بقية من النهار(١). وأسند الضمير إلى ضمير الجماعة: إما لأنهم اتفقوا على هذا القول، أو أن **أَوْ** للتقسيم في القول . ويؤيده أنهم قالوا بعدها : **قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ** (٢).

لكن شعورهم بالجوع، واحتياجهم إلى الطعام؛ قطع حوارهم في مدة لبثهم حيث **قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** :

وقد يكون قولهم: **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ** – إلهام من الله لهم . وربما رأوا علامات تدل على طول مكثهم . قيل: إنما قالوا ذلك؛ لأنهم رأوا أظفارهم وأشعارهم قد طالت جدا (٣).

وهذا بعيد؛ لأنه يعارض قولهم: **لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** . ولعل توقف نمو أظفارهم وأشعارهم كان من الآيات أيضا، كانقطاعهم عن الأكل والشرب طول مدة لبثهم .

وفي قولهم: **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ** إشارة إلى فضل الأدب فيمن اشتبه عليه العلم أن يرده إلى عالمه وأن يقف عند حده (٤).

وقوله: **فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ** تفريع على الجملة التي قبلها، كأنهم قالوا: ربكم أعلم بذلك، لا طريق لكم إلى علمه؛ فخذوا في شيء آخر مما يهمكم **فَابْعَثُوا أَحَدَكُم** ... (٥).

والورِق بكسر الراء الفضة . قال ابن قتيبة: الورق الفضة، دراهم كانت أو غير دراهم (٦).

---

(١) انظر تفسير البغوي ١٥٩/٥ ، وزاد المسير ١٢٠/٥ ، وفتح القدير للشوكاني ٢٧٥/٣.
(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان ١١٠/٦ ، والتحرير ٢٨٤/١٥.
(٣) انظر الكشاف ٧١٠/٢ ، وزاد المسير ١٢٠/٥.
(٤) تفسير السعدي ٢٠/٥.
(٥) انظر الكشاف ٧١٠/٢ ، والتحرير ٢٨٤/١٥.
(٦) غريب القرآن ص ٢٢٥ ، وانظر زاد المسير ١٢١/٥ . قرأ: أبو بكر، وحمزة، وأبو عمرو: **بِوَرْقِكُم**، ساكنة الراء، وقرأ الباقون: **بِوَرِقِكُمْ** ، بكسر الراء، على أصل الكلمة . فمن سكن

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ الألف واللام للعهد، أي: المدينة المعهودة، وهي المدينة التي خرجوا منها (١).

وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر وبذل الأسباب لا ينافي التوكل على الله تعالى (٢).

ومعنى ﴿أَيُّهَآ﴾ في قوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾، أي: أيُّ أهلها، كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢ أي: أهل القرية، وقيل الضمير عائد إلى الأطعمة المدلول عليه في المقام (٣).

ومعنى قوله: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾، أي: أطيب طعاما، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ النور: ٢١، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ الأعلى: ١٤ . ولعل هذا المعنى يؤيد أنهم كانوا من أولاد الملوك والكبراء في قومهم (٤).

وقيل: أزكى أي أكثر طعاما، ومنه زكا الزرع إذا كثر، كما قال الشاعر:

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع أزكى من ثلاث وأطيب(٥)

والذي يظهر أن كلا المعنيين مراد .

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ :أي من ذلك الأزكى طعاما(٦).

وقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، أي: ليتكلف اللطف في الاستخفاء، دخولا وخروجا، وليتكلف كذلك اللطف في المعاملة؛ كيلا تقع خصومة تجر إلى معرفته . ثم أكد هذا

الراء؛ طلب التخفيف بإسكان الراء؛ لأن الراء بتكررها بمنزلة حرفين . وإعراب ورقكم حال من أحدكم، والباء للملابسة والمصاحبة. انظر: التيسير للداني ص١٤٣ ، وحجة القراءات ص٤١٣، والدر المصون ٤/٤٤٣.

(١) انظر زاد المسير ٥/١٢١ ، وتفسير ابن كثير ٥/١٤١ ، وروح المعاني ١٥/٢٣٠.

(٢) انظر الكشاف ٢/٧١٠ ، وتفسير النسفي ٣/٧.

(٣) انظر الكشاف ٢/٧١٠ ، وتفسير النسفي ٣/٧ ، وفتح القدير للشوكاني ٣/٢٧٦ . و **أي**: استفهام، مرفوع بالابتداء، والخبر قوله: **أَزْكَىٰ** ، وقوله: **طَعَامًا** تمييز منصوب، ومضمون الجملة منصوب بقوله: **فَلْيَنظُرْ** ؛ لأن اسم الاستفهام علق الفعل عن العمل لفظا . انظر معاني الزجاج ٣/٢٧٥ ، والفريد للهمداني ٣/٣٢٢.

(٤) انظر تفسير السعدي ٥/٢١.

(٥) تفسير ابن كثير ٥/١٤٢.

(٦) وقد استدل ابن العربي بهذه الآية على صحة الوكالة، وأنها أقوى آية في هذا الغرض . انظر أحكام القرآن ٣/٢٢٠.

المعنى بقوله: **وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** (١).

وقوله: **إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ** تعليل لما سبق من الأمر والنهي (٢).

وفي هذه الجملة إشارة على: التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك (٣).

وقوله: **يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**، أي: يطلعوا عليكم، ويعلموا بمكانكم، أو يظفروا بكم. وأصل معنى ظهر: صار على ظهر الأرض، ولما كان ما عليها يشاهد ويتمكن منه؛ استعمل تارة في الاطلاع، وتارة في الظفر والغلبة، وعدى بـ **على** (٤).

وقوله: **يَرْجُمُوكُمْ**، أي: القتل بالحجارة، وهي أشنع قتلة؛ لحنقهم عليهم (٥).

وجملة: **يَرْجُمُوكُمْ** جواب شرط لقوله: **إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**. ومجموع جملتي الشرط وجوابه دليل على خبر إن المحذوف في قوله: **إِنَّهُمْ**؛ لدلالة الشرط وجوابه عليه (٦).

وقوله: **أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ**، أي: يصيروكم إليها، ويدخلوكم فيها مكرهين. والعود في الشيء بهذا المعنى لا يقتضي التلبس به قبل، وروي هذا عن ابن جبير. وقيل العود على ظاهره، وهو رجوع الشخص إلى ما كان عليه، وقد كان الفتية على ملة قومهم أولا.

وإيثار كلمة **فِي** على كلمة **إلى** في قوله: **فِي مِلَّتِهِمْ**؛ للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد كراهة (٧). وقوله: **وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** تأكيد للتحذير من الإرجاع في ملتهم؛ بأنها يترتب عليها انتفاء فلاحهم في المستقبل؛ لأن في قوله: **إِذًا** معنى الشرط، كأنه قال: إن رجعتم إلى دينهم؛ فلن تفلحوا إذا أبدا، لا في الدنيا، ولا في الآخرة (٨).

وفي هذه الجملة دلالة على قوة إيمان هؤلاء الفتية، وشدة رغبتهم في التمسك

---

(١) انظر فتح القدير ٢٧٦/٣ ، وروح المعاني ٢٣١/١٥.
(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ٢٧٦/٣ ، وروح المعاني ٢٣١/١٥ ، والتحرير ٢٨٦/١٥.
(٣) تفسير السعدي ٢١/٥.
(٤) روح المعاني ٢٣١/١٥.
(٥) انظر فتح القدير للشوكاني ٢٧٦/٣ ، وتفسير السعدي ٢٠/٥.
(٦) التحرير ٢٨٧/١٥.
(٧) انظر فتح القدير ٢٧٦/٣.
(٨) انظر المصدر السابق ، والتحرير ٢٨٧/١٥.

بدينهم [1].

وفيها دلالة كذلك على شدة حذرهم من الفتن وأسبابها الموصلة إليها .

لقد تبين من هذا المشهد شدة محبة الفتية لدينهم وتعلقهم به وخوفهم الشديد من أن يفتنوا فيه. وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب . كما قال صلى الله عليه وسلم : (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ)، وذكر منها: (وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ) رواه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه [2].

لذا كانوا في غاية الحذر، وبذلوا قصارى جهدهم في البعد عن أسباب الفتنة .

المشهد السادس : يتناول تنازع أهل زمانهم فيهم بعد انكشاف أمرهم وموتهم

أفاد المشهد السابق أنهم بعثوا بأحدهم إلى المدينة؛ فخرج وهو في غاية الحذر؛ خوفا على دينهم من قومهم، لكن حكمة الله تعالى اقتضت أن ينكشف أمرهم لأهل المدينة كما سيأتي.

لكن القرآن لم يفصح عن كيفية هذا الانكشاف وما يتعلق به من مشهد أو مشاهد.

واكتفى بالإشارة إلى ما قد يكون سببا لهذا الانكشاف في قوله تعالى: **فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ** ؛ إذ لا غرض – فيما يبدو- من ذكر الورق، وهو العملة التي سيشتري بها مبعوثهم الطعام إلا الإشارة إلى أن هذا الورق سيكون له شأن؛ فهو السبب في كشف أمرهم لأهل زمانهم؛ كما ذكر ذلك غير واحد من المفسرين [3].

ثم تناول في المشهد الأخير للقصة تنازع أهل زمانهم فيهم بعد انكشاف أمرهم وماذا يصنعون بهم بعد موتهم.

وقدم لهذا المشهد ببيان أن الغرض من إعثار أهل زمانهم عليهم هو إثبات البعث، فقال عز وجل: **وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ** .

ومعنى قوله: **وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ** أي: وكما أنمناهم وبعثناهم أعثرنا عليهم،

---

(١) انظر تفسير السعدي ٥/٢١.

(٢) صحيح البخاري ١/١٣ –كتاب الإيمان – باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان– حديث رقم ٢١ .

(٣) انظر:تفسير ابن كثير ٥/١٤٦، ومحاسن التأويل للقاسمي ٧/١٥، وتفسير السعدي ص٤٧٣ .

أي: أطلعنا الناس عليهم(١).

وأصل العثور: السقوط، يقال:عثر الرجل يعْثُر عِثَاراً وعُثُورا؛ إذا كبا، والعثرة: الزلة، وتَعَثَّر لسانه أي: تلعثم، وسمى الإعلام إعثارا؛ لأن من كان غافلا عن شيء فعثر به؛ نظر إليه وعرفه، فكان الإعثار سببا لحصول العلم (٢).

ومفعول **أَعْثَرْنَا** محذوف، دل عليه عموم قوله:**وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** ، أي وكذلك أطلعنا الناس عليهم(٣).

واستعمال القرآن لفعل:**أَعْثَرْنَا** يشير إلى شيوع خبر أهل الكهف؛ لأنهم صاروا كالعزيز المفقود الذي يبحث عنه صاحبه، ويتشوف بشدة إلى معرفة مصيره .

والقرآن لم يبين كيف أعثر الله الناس على أصحاب الكهف .

لكن ذكر الحافظ ابن كثير عن غير واحد من السلف أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة، في شراء شيء لهم ليأكلوه، تنكر وخرج يمشي في غير الجادة، حتى انتهى إلى المدينة، وذكروا أن اسمها دقسوس وهو يظن أنه قريب العهد بها، وكان الناس قد تبدلوا قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل، وأمة بعد أمة، وتغيرت البلاد ومن عليها، كما قال الشاعر:

أما الديار فإنها كديارهم ... وأرى رجال الحي غير رجاله ...

فجعل لا يرى شيئا من معالم البلد التي يعرفها، ولا يعرف أحدا من أهلها، لا خواصها ولا عوامها، فجعل يتحير في نفسه، ويقول: لعل بي جنونا أو مسا، أو أنا حالم، ويقول: والله ما بي شيء من ذلك، وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة. ثم قال: إن تعجيل الخروج من هاهنا لأولى لي. ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام، فدفع إليه ما معه من النفقة، وسأله أن يبيعه بها طعاما. فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها، فدفعها إلى جاره، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون: لعل هذا قد وجد كنزا؛ فسألوه عن أمره، ومن أين له هذه النفقة؟ لعله وجدها من كنز. ومن أنت؟ فجعل يقول: أنا من أهل هذه المدينة، وعهدي بها عشية أمس، وفيها دقيانوس؛ فنسبوه إلى الجنون؛ فحملوه إلى ولي أمرهم؛ فسأله عن شأنه وعن أمره حتى أخبرهم بأمره، وهو متحير في حاله، وما هو فيه . فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى

---

(١) انظر الكشاف ٧١١/٢ ، والوسيط للواحدي ١٤١/٣٣.

(٢) انظر مفردات الراغب ص ٣٣٣ ، ولسان العرب ٥٣٩/٤ ، وروح المعاني ٢٣٢/١٥ ، وفتح القدير ٢٧٧/٣.

(٣) انظر روح المعاني ٢٣٢/١٥ ، والتحرير ٢٨٨/١٥.

الكهف- متولي البلد وأهلها- حتى انتهى بهم إلى الكهف، فقال: دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي . فيقال: إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه، وأخفى الله عليهم خبره . ويقال: بل دخلوا عليهم، ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم، وكان مسلما فيما قيل، واسمه تيدوسيس؛ ففرحوا به، وآنسوه بالكلام، ثم ودعوه وسلموا عليه، وعادوا إلى مضاجعهم، وتوفاهم الله، عز وجل، فالله أعلم .

وقوله: **لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ**، أي: ليعلم الذين أطلعهم الله عليهم أن وعد الله بالبعث حق ثابت لا خلف فيه [1]، على أن الوعد بمعناه المصدري، ومتعلقه مقدر، أو على أن المصدر مؤول باسم المفعول، أي: موعوده المعهود جل وعلا، وهو البعث[2].

وقوله: **وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ**، أي: وليعلموا أن القيامة لا شك في حصولها؛ فإن من شاهد حال أهل الكهف علم صحة ما وعد الله به من البعث [3].

ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة[4].

وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد. فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك[5].

ثم بين تعالى مشهد تنازع أهل زمانهم في أهل الكهف، وماذا يصنعون بهم بعد موتهم، فقال: **إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** .

وأصل التنازع في قوله: **إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**: التجاذب، ويعبر به عن التخاصم، وهو باعتبار أصل معناه يتعدى بنفسه، وباعتبار التخاصم يتعدى بـ **في**، كقوله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ **النساء: ٥٩**[6]. والظرف متعلق بـ **أَعْثَرْنَا**، أي: أعثرنا عليهم وقت التنازع والاختلاف بين أولئك الذين أعثرهم الله في أمر البعث . وقيل في أمر أصحاب الكهف في قدر مكثهم وفي عددهم وفيما يفعلونه بعد أن اطلعوا عليهم

---

(١) فتح القدير ٢٧٧/٣.
(٢) روح المعاني ٢٣٢/١٥.
(٣) فتح القدير ٢٧٧/٣.
(٤) تفسير ابن كثير ١٤٦/٥ .
(٥) تفسير البغوي ١٦١/٥ .
(٦) روح المعاني ٢٣٣/١٥.

(١).

وقوله: **فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا**: الجملة فيها اختصار، أي: وكذلك أعثرنا الناس على أصحاب الكهف حين تنازعهم في أمر البعث فتحققوا ذلك وعلموا أن هؤلاء آية من آياتنا؛ فتوفاهم الله تعالى بعد أن حصل الغرض من الإعثار، **فَقَالُواْ ٱبْنُواْ** ... إلى آخر الآية (٢).

والغرض أي: لئلا يتطرق الناس إليهم، وذلك أن الملك وأصحابه لما وقفوا عليهم وهم أحياء أمات الله الفتية، فقال بعضهم ابنوا عليهم بنيانا يسترهم عن أعين الناس.

ثم قال سبحانه حاكيا لقول المتنازعين فيهم وفى عددهم وفى مدة لبثهم وفى نحو ذلك مما يتعلق بهم: **رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ** من هؤلاء المتنازعين فيهم، قالوا ذلك تفويضا للعلم إلى الله سبحانه .

وقيل: هو من كلام الله سبحانه؛ ردا لقول المتنازعين فيهم، أي: دعوا ما أنتم فيه من التنازع؛ فإني أعلم بهم منكم .

وقيل إن الظرف في قوله: **إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ** متعلق بمحذوف هو اذكر، ويؤيده أن الإعثار ليس في زمن التنازع بل قبله .

ويمكن أن يقال: إن أولئك القوم ما زالوا متنازعين فيما بينهم قرنا بعد قرن منذ أووا إلى الكهف إلى وقت الإعثار.

قال الطاهر بن عاشور:"وقد كان الحديث عن أهل الكهف في تلك المدينة يتناقله أهلها فيسر الله لأهل المدينة العثور عليهم للحكمة التي في قوله: **لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ**...الآية " اهـ (٣).

ويؤيد ذلك أن خبرهم كان مكتوبا على باب الغار كتبه بعض المعاصرين لهم من المؤمنين الذين كانوا يخفون إيمانهم كما قاله المفسرون (٤).

وقوله: **قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**: حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين، أحدهما: أنهم المسلمون منهم . والقول الثاني: أن المراد أهل الشرك منهم فالله أعلم .

---

(١) فتح القدير ٢٧٧/٣.
(٢) روح المعاني ٢٣٥/١٥.
(٣) التحرير والتنوير ٢٨٨/١٥ .
(٤) فتح القدير ٢٧٧/٣ .

والظاهر من الآية أن الذين قالوا ذلك: ﴿الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ وهم أصحاب الكلمة والنفوذ. ويؤيده قوله: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾ هنا، بينما عبر بصيغة الطلب للطائفة الأولى بقوله: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾.

وقد كان اتخاذ المساجد على قبور الصالحين من عادات النصارى المحرمة، التي اشتد نكير رسول الله صلى الله عليه وسلم لها[1]؛ حيث قال: (**لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) يحذر ما صنعوا . رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (**لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذَاتِ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**). أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده[3].

وفي الصحيحين عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِيكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**)[4].

فهذه الأحاديث تدل على تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والعلماء مساجد .

وعن أبي مرثد الغنوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا**) رواه مسلم[5]، أي: لا تتخذوها قبلة؛ فتصلوا عليها، أو إليها، كما فعل اليهود والنصارى؛ فيؤدي إلى عبادة من فيها، كما كان

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٤٣/٥، والتحرير والتنوير ٢٩٠/١٥ .

(٢) صحيح البخاري ١٠٢/٢ –كتاب الجنائز – باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما – حديث رقم ١٣٩٠، وصحيح مسلم ٣٧٧/١= = – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب النهي عن بناء المساجد، على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد – حديث رقم ٥٣١.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي ٤٥٤/٤ – حديث رقم ٢٨٥٦ . وأخرجه البغوي في شرح السنة ٤١٦/٢، وقال: هذا حديث حسن . وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص١٨٦.

(٤) صحيح البخاري ٥٠/٥ –كتاب المناقب – باب هجرة الحبشة – حديث رقم ٣٨٧٣، وصحيح مسلم ٣٧٥/١ –كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب النهي عن بناء المساجد، على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد – حديث رقم ٥٢٨ .

(٥) صحيح مسلم ٦٦٨/٢ –كتاب الجنائز – باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه – حديث رقم ٩٧٢.

السبب في عبادة الأصنام [1].

فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك؛ فقال: (**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) [2].

ولكن لماذا سكت القرآن عن مقالتهم :**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**؛ فلم يعقب عليها؟

أجاب السعدي عن ذلك بقوله: "ولا يدل ذكرها هنا على عدم ذمها، فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف والثناء عليهم، وأن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: ابنوا عليهم مسجدا، بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم، وحذرهم من الاطلاع عليهم، فوصلت الحال إلى ما ترى " اهـ.

وفي هذا درس عظيم للمتدبر كيف يحسن الله عاقبة من اعتصموا بحبله وركنوا إلى جنابه وكيف يعلي ذكرهم ويجعل لهم لسان صدق في العالمين .

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٣٧٩/١٠ .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ مرسلا من حديث عطاء بن يسار . الموطأ ١٧٢/١ – حديث رقم ٨٥ . قال الألباني في مشكاة المصابيح ٢٣٤/١ : صحيح .

المبحث الخامس
تعقيبات القرآن في خاتمة القصة

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الكهف: ٢٢ – ٢٦.

لقد عقب القرآن على قصة أصحاب الكهف بخمس آيات، تناولت مسألتين:

الأولى: عدد أصحاب الكهف، وما أعقبه من توجيهات .

الثانية: مدة لبثهم في كهفهم .

أما المسألة الأولى فجاءت في ثلاث آيات:

قال عز وجل: سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا .

فأورد القرآن أولا اختلاف الناس – في عهد النبي صلى الله عليه وسلم – في عدة أصحاب الكهف، فحكى ثلاثة أقوال: سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ . فضعف القولين: الأول، والثاني بقوله: رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ، أي: بلا علم، وسكت عن الثالث، أو قرره؛ فدل على صحته، وعليه أكثر المفسرين (١).

ومثله قوله تعالى عن المشركين: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٨، فأبطل قولهم: وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا،

(١) انظر: الكشاف ٧١٤/٢، وتفسير الرازي ٤٤٧/٢١، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٦٧/١٣، وتفسير ابن كثير ١٤٧/٥، ومحاسن التأويل للقاسمي ١٩/٧ .

وسكت عن قولهم :﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾؛ فدل على صحته [1].

وقد دل قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ على اختصاص الله تعالى بالعلم بعدة أهل الكهف . وأنه – عز وجل – أخبر به بعض عباده تصريحا أو تلميحا؛ لأنه – كما تقدم – ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث [2].

ويشهد لهذا ما أخرجه الطبري في تفسيره بأسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنه قال في تفسير قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال: أنا من القليل الذين استثنى الله، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم [3].

ويؤيده ما ذكره الزمخشري وغيره أن الواو الداخلة على الجملة الثالثة، دون الأوّلين – هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كما غيرهم [4].

وقيل: الواو مزيدة للتوكيد، وقيل: إنها واو الثمانية، وأنها متداول على ألسن العرب؛ إذا وصلوا إلى الثمانية، كما في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الزمر: ٧٣، وقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ التحريم: ٥ [5]. والقول الأول أظهر .

وإنما لم يصرح القرآن هنا بعدة أهل الكهف؛ لأنه غير مقصود لذاته، بل المقصود من الكلام بيان أن الوحي هو المصدر الوحيد الموثوق في معرفة حال أهل الكهف وعددهم وما جرى لهم، لا ما ينقل عن أهل الكتاب من أخبار، لا يوثق بها، واختلط الحق فيها بالباطل .

---

(١) انظر تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص٤٢ .

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي ٤٣/١٢، وتفسير أبي السعود ٢١٦/٥ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٦٢/١٥ ، وتفسير ابن كثير ١٤٤/٥ .

(٤) الكشاف ٧١٣/٢، وانظر: تفسير الرازي ٤٤٨/٢١، ونظم الدرر للبقاعي ٤٢/١٢، وروح المعاني ٢٢٩/٨ . فقوله: ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة، وكذلك قوله:﴿خَمْسَةٌ﴾ ، وقوله: ﴿سَبْعَةٌ﴾، وقوله: ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لـ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ ، وكذلك قوله:﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ، وقوله:﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ . انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٨٤٣/٢، والدر المصون للحلبي ٤٦٦/٧ .

(٥) انظر: تفسير البغوي ١٦١/٥، والدر المصون للحلبي ٤٦٧/٧، وفتح القدير ٢٧٨/٣ .

ثم قال عز وجل: **فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا**، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم إلا بظاهر ما قصصنا عليك؛ فحسبك ما قصصت عليك؛ فلا تزد عليه وقف عنده . وهو قول: ابن عباس ومجاهد، وقتادة، وغير واحد [1].

فنهى الله نبيه عن الجدال، إلا ما كان مبنيا على العلم واليقين، مع رجحان فائدته؛ لأن الجدال في المسائل التي لا يحصل بها كبير فائدة – كعدة أصحاب الكهف – هو من قبيل صرف الأوقات في غير محلها [2].

كذلك نهى الله نبيه عن استفتاء أهل الكتاب عن أهل الكهف، فقال: **وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**؛ لأن كلامهم فيهم مبني على الرجم بالغيب والظن الذي لا يغني من الحق شيئا [3].

وفي إشارة لسبب نزول سورة الكهف – الذي تقدم – يرشد الله تعالى رسول صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل بأن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فقال تبارك وتعالى: **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** [4].

قال البغوي: " يعني: إذا عزمت على أن تفعل غدا شيئا فلا تقل: أفعل غدا حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه: عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غدا، ولم يقل: إن شاء الله، فلبث الوحي أياما، ثم نزلت هذه الآية" اهـ [5].

ويدل على هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهَا تَأْتِي بِفَارِسٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ**

---

(١) انظر تفسير الطبري ٤٤٢/١٧، ومعاني القرآن للزجاج ٢٧٧/٣، وتفسير البغوي ١٦٢/٥ .
(٢) انظر: زاد المسير ٧٦/٣، وتفسير السعدي ص٤٧٣، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩٤/١٥ .
(٣) انظر: تفسير الطبري ٦٤٣/١٧، وتفسير البغوي ١٦٢/٥ .
(٤) انظر: تفسير الطبري ٦٤٤/١٧، وتفسير ابن كثير ١٤٨/٥ .
(٥) تفسير البغوي ١٦٢/٥ . وحكاه ابن القيم – في مدارج السالكين ٤٠٣/٢ – إجماعا .

وَاحِدَةٌ، فَجَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ) [1].

وهذا الأدب عام للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته، لما في ذكر مشيئة الله من تيسير الأمر وتسهيله وحصول البركة فيه واستعانة العبد بربه، وتفويض الأمر إليه

ولذا قال تعالى بعدها: **وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**، فأمر عبده إذا سهى عن ذكر المشيئة؛ أن يأتي بها ولو بعد حين .

قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء، ثم ذكرت؛ فاستثن .

وقيل: المعنى: واذكر ربك إذا غضبت . وهو تفسير باللازم؛ فإن من لوازم الغضب النسيان.

وقيل: المراد بالذكر الصلاة؛ فمن نسي صلاة؛ فليصلها إذا ذكرها [2].

ورجح الطبري أن المراد بالنسيان الترك [3].

والقول الأول هو المناسب لسياق الآيات ولسبب النزول .

وما ذهب إليه الإمام الطبري مرجوح؛ لأن النسيان إذا قوبل بالذكر لم يكن

---

(١) صحيح البخاري ١٣٠/٨ –كتاب الأيمان والنذور– باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم – حديث رقم ٦٦٣٩، وصحيح مسلم ١٢٧٦/٣ –كتاب الأيمان – باب الاستثناء – حديث رقم ١٦٥٤. والمراد بصاحبه المَلَك؛ كما دلته عليه الرواية الأخرى . انظر: صحيح البخاري ٣٩/٧ – حديث رقم ٥٢٤٢، وصحيح مسلم ١٢٧٥/٣.

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير هذه الجملة في: تفسير الطبري ٦٤٥/١٧، وتفسير البغوي ١٦٢/٥، وتفسير ابن كثير ١٤٩/٥ . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يستثني ولو بعد سنة، ومراده: أنه إذا نسي أن يقول في حلفه أو كلامه "إن شاء الله"، وذكر ولو بعد سنة، فالسنة له أن يقول ذلك؛ ليكون آتيا بسنة الاستثناء، حتى ولو كان بعد الحنث، لا أن يكون ذلك رافعا لحنث اليمين ومسقطا للكفارة، إلا أن يكون استثناؤه موصولا بيمينه. نص على هذا الإمام الطبري في تفسيره ٦٤٦/١٧، ووافقه عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٩/٥ . وليس مقصود الآية الاستثناء في اليمين، بل هو عام، وإن كان أكثر المفسرين تناوله عند تفسيرها . قال ابن عطية:" وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليمين، والآية ليست في الأيمان، وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين" اهـ . المحرر الوجيز ٥٠٩/٣ .

(٣) تفسير الطبري ٦٤٥/١٧ .

إلا نسيان سهو، كما يقول ابن القيم [1].

"ويحتمل في الآية وجه آخر، وهو أن يكون الله، عز وجل، قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى؛ لأن النسيان منشؤه من الشيطان، كما قال فتى موسى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ الكهف: ٦٣، وذكر الله تعالى يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان؛ ذهب النسيان؛ فذكر الله سبب للذكر" [2].

ودل قوله: وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ على أن العبد مفتقر إلى ربه في جميع أحواله . ولذا قال بعدها: وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ؛ فهو مأمور أن يدعو الله، ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد .

وقيل في المناسبة بين الجملتين: أن الله أمر نبيه أن يذكره؛ إذا نسي شيئا، ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه.

وقيل: هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد؛ أمره الله عز وجل أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف، وقد فعل؛ حيث أتاه من علم الغيب المرسلين ما كان أوضح لهم في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف .

وقيل: هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله: "إن شاء الله"؛ إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان، وإذا نسي الإنسان "إن شاء الله"؛ فتوبته من ذلك أن يقول: عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا [3].

وأما المسألة الثانية؛ فجاءت في آيتين:

قال تعالى: وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا .

صلة الآية الأولى بما قبلها أنها تعد تفصيلا لما أجمل في بداية عرض القصة في قوله تعالى: فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا [4]. هذا من وجه.

ومن وجه آخر: أنه لما نهى الله نبيه عن استفتاء أهل الكتاب في شأن أهل

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها ص٨٣ .
(٢) قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٥٠/٥، ووافقه السعدي في تفسيره ص٤٧٤ .
(٣) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري ٦٤٦/١٧، وتفسير البغوي ١٦٤/٥، والمحرر الوجيز لابن عطية ٥٠٩/٣.
(٤) انظر الكشاف ٧١٦/٢ .

الكهف؛ لعدم علمهم بذلك، وكان الله تعالى عالم الغيب والشهادة، العالم بكل شيء – أخبره بمدة لبثهم، وأن علم ذلك عنده وحده؛ فقال: **وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا** (١).

قال ابن كثير: "كان مقدار لبثهم ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعا"اهـ (٢).

قل ابن قتيبة: "ولم يقل: سنة؛ كأنه قال: **وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ**، ثم قال: **سِنِينَ**. أي: ليست شهورا، ولا أياما. ولم يخرج مخرج ثلاثمائة درهم" اهـ (٣).

ثم قال بعدها: **قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ** . وهذا يشير إلى مقدر، أي: فإن نازعوك فيها؛ فأجبهم، وقل: **ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟**؛ لأن **لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ**؛ فهو أعلم منكم، وقد أخبرنا بمدة لبثهم (٤).

فأرشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الأحسن في هذا المقام وهو رد العلم إلى الله تعالى؛ لأنه وحده الذي يملك ذلك .

ومعنى قوله: **أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ** . قال قتادة: فلا أبصر من الله، ولا أسمع .

وقال ابن جرير:" وذلك في معنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه" اهـ (٥).

ولما بين عز وجل تفرده بكمال علمه وقدرته؛ بين تفرده بكمال الحكم والتدبير؛ فقال: **مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ** ؛ فأخبر تعالى بانفراده بالولاية العامة والخاصة؛ فهو يتولى تدبير جميع الكون، وهو ولي المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وييسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى، وهو الذي تولى أصحاب الكهف بلطفه وكرمه، ولم يكلهم إلى أحد سواه(٦).

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص٤٧٤ .
(٢) تفسير ابن كثير ١٤٦/٥. وانظر: معاني القرآن للزجاج ٢٧٩/٣ .
(٣) غريب القرآن ص٢٢٦ . وانظر الكشاف ٧١٦/٢ .
(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٢٦، وتفسير البغوي ١٦٤/٥، ونظم الدرر للبقاعي ٤٧/١٢ .
(٥) تفسير الطبري ٢٦٨/١٥ .
(٦) انظر: تفسير السعدي ص٤٧٤ .

وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾، أي: ليس له وزير، ولا نصير، ولا شريك، ولا مشير، تعالى وتقدس؛ فله الحكم الكوني القدري، وله الحكم الشرعي الديني ؛لأنه جل وعلا هو الحاكم في خلقه، قضاء وقدرا وخلقا وتدبيرا، وهو الحاكم فيهم بأمره ونهيه وثوابه وعقابه (١).

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ .

وقد نفى الله الإيمان عن أقوام أرادوا التحاكم إلى الطاغوت دون حكم الله؛ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ النساء: ٦٠ (٢).

والخلاصة أن الغرض من توجيهات القرآن في المسألتين هو استصلاح القلب وتربيته على تعظيم الله تعالى، واستشعار كماله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى تفويض الأمور إليه، وأنه قد أحاط بكل شيء قدرة وعلما، وعلى التعلق به في تحصيل أسباب الهداية والرشاد؛ فهو المتفرد بتدبير الكون، وله الولاية الخاصة والعامة، وله الحكم كله الشرعي والقدري .

وأيضا تربية القلب على تعظيم الوحي، واليقين بأنه المصدر الوحيد الحق في التلقي، ومن ذلك معرفة أخبار الماضين .

ولا ريب أن قلبا تربى على هذه المعاني السامقة لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء الله .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٥١/٥، وتفسير السعدي ص٤٧٤ .
(٢) انظر أضواء البيان ٨٣/٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم علي بإتمام هذا البحث، فأختمه بخلاصة تتضمن أهم النتائج التي انتهيت إليها في هذا البحث:

أولا: سلك القرآن في عرض قصة أصحاب الكهف منهجا فريدا، من أهم معالمه: أنه قدم للسورة بما يعد براعة استهلال، ولهذه المقدمة علاقة بقصة أصحاب الكهف من وجوه . ثم بين منزلة القصة من بين آيات الله القرآنية والكونية قبل الشروع في تناولها . ثم تناول القصة أولا بإيجاز . وأكد القرآن قبل الشروع في تفصيل القصة صدقها وصدق مصدرها.، ثم تناولها بالتفصيل، وأدمج الدروس مع مشاهد القصة وأحداثها، ثم عقب القرآن على القصة بآيات، الغرض منها: بيان أن الوحي هو المصدر الوحيد الموثوق في معرفة حال أهل الكهف وعددهم وما جرى لهم.

ثانيا: تناول القرآن القصة أولا بإيجاز، وفيها آية تضمنت خلاصة عبر القصة، وهو أن أصحاب الكهف قد بذلوا أقصى ما يستطيعونه من أسباب في الفرار من الفتنة، ولكنهم لم يركنوا إلى هذه الأسباب، بل توجهوا إلى ربهم بالدعاء والتضرع؛ فكانت قلوبهم معلقة بربهم، لا بالأسباب .

ثالثا: ثم تناول القرآن القصة بالتفصيل. وقد عرضت القصة على هيئة مشاهد، كما جاءت في القرآن، مضمنا كل مشهد الدرس الذي دل عليه:

فدل المشهد الأول على أن العلم النافع والعمل الصالح هما من أعظم أسباب العصمة من الفتن.

ودل المشهد الثاني على أن الله تعالى يربط على قلوب أوليائه، ويزيدهم علما وبصيرة بالباطل؛ فيمقتونه أشد المقت، ويصدعون بالحق؛ فتقوى قلوبهم على مواجهة الفتن والسلامة منها.

ودل المشهد الثالث على أن اعتزال الفتن بالبدن يعد من أعظم أسباب العصمة منها؛ لحماية القلب من آثارها السيئة.

ودل المشهد الرابع على عظيم لطف الله تعالى بمن يفر بدينه إليه، وأنه عز وجل يسخر له من أنواع الحفظ والرعاية ما يكون عاصما له من كل فتنة .

ودل المشهد الخامس على أن شدة محبة المرء لدينه وشدة خوفه من الفتنة المفضي إلى شدة الحذر منها – يعد من أعظم أسباب العصمة من الفتن .

ودل المشهد الأخير من القصة على أن الله تعالى يحسن عاقبة من اعتصموا بحبله وركنوا إلى جنابه ويعلي ذكرهم في العالمين .

رابعا: عقب القرآن على القصة بتوجيهات الغرض منها: استصلاح القلب وتربيته على تعظيم الله تعالى، واستشعار كماله وتفويض الأمور إليه، والتعلق به في تحصيل أسباب الهداية والرشاد؛ فهو المتفرد بتدبير الكون، وله الحكم كله. وكذلك تربية القلب على تعظيم الوحي، واليقين بأنه المصدر الوحيد الحق في التلقي.

فهرس المصادر والمراجع

أحكام الجنائز: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، المكتب الإسلامي.

أحكام القرآن: للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

أسرار ترتيب القرآن: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، عالم الكتب- بيروت.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة - بيروت.

الأم: لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار المعرفة — بيروت.

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.

البحر المحيط: لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث .

التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

التحرير والتنوير من التفسير: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، بيروت - لبنان .

تفسير سورة الكهف: لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب :لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، ١٤١٠هـ، المكتبة التجارية – مكة المكرمة .
التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية.
التيسير في القراءات السبع: لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني تحقيق: اوتو تريزل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دار الكتاب العربي — بيروت.
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.
جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، مؤسسة الرسالة.
الجامع الصحيح: لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.
الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ١٤٠٥ هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة.
حجة القراءات: لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لشهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان .
الدر المنثور: لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١٩٩٣م، دار الفكر – بيروت.
دلائل النبوة: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية ودار الريان.

دلائل النبوة: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م،دار النفائس، بيروت.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

زاد المسير في علم التفسير: لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

السيرة النبوية: لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

شرح السنة: لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت.

صحيح الجامع الصغير: لناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ، المكتب الإسلامي.

صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الصناعتين: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،١٤١٩ هـ، المكتبة العنصرية — بيروت.

غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، دار الكتب العلمية.

فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة - بيروت.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت .

الفردوس بمأثور الخطاب: لشيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول
، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، دار الكتب العلمية — بيروت.

الفريد في إعراب القرآن المجيد: لأبي العز حسين بن أبي العز الهمذاني، تحقيق: الدكتور فهمي حسن النمر، والدكتور فؤاد علي مخيمر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الثقافة، الدوحة – قطر.

فضائل القرآن: لأَبِي العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ المعْتَزِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المسْتَغْفِرِ بنِ الفَتْحِ بنِ إِدْرِيْسَ المسْتَغْفِرِيُّ، النَّسَفِيُّ تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م، دار ابن حزم.

فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة: لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي،تحقيق: غزوة بدير، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م،دار الفكر، دمشق — سورية.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر – بيروت.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، طبعة ١٤١٢ هـ، دار الفكر – بيروت.

مجموع فتاوى ابن تيمية: لأبي العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ومساعدة ابنه محمد، ١٤١٥هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، دار الكتب العلمية — بيروت.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، ١٣٩٥هـ، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، دار الكلم الطيب– بيروت.

المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١، مؤسسة الرسالة.

مسند أبي داود الطيالسي: لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، دار هجر – مصر.

مشكاة المصابيح: لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٩٨٥، المكتب الإسلامي – بيروت.

معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء،تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الطبعة الأولى، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، دار عالم الكتب.

معاني القراءات للأزهري: لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية.

معرفة السنن والآثار: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي،تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي – باكستان)، دار قتيبة (دمشق – بيروت)، دار الوعي (حلب – دمشق)، دار الوفاء (المنصورة – القاهرة).

مفردات ألفاظ القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم – دمشق.

موطأ الإمام مالك: لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني،صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م،دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان.

النشر في القراءات العشر: لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، المكتبة التجارية- مكة، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق عادل بن أحمد عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٦٣٣
التمهيد:ويتناول تعريفا بسورة الكهف وفضلها وسبب نزولها وموضوعها	٦٣٦
المبحث الأول: مقدمة السورة وصلتها بقصة أصحاب الكهف	٦٤١
المبحث الثاني: منهج القرآن في عرض قصة أصحاب الكهف..... .	٦٥٢
المبحث الثالث: قصة أصحاب الكهف بإيجاز	٦٥٤
المبحث الرابع:مشاهد القصة وعبرها بالتفصيل	٦٦٠
المشهد الأول	٦٦١
المشهد الثاني	٦٦٤
المشهد الثالث	٦٦٦
المشهد الرابع	٦٦٨
المشهد الخامس	٦٧٣
المشهد السادس	٦٧٧
المبحث الخامس: تعقيبات القرآن في خاتمة القصة	٦٨٣
الخاتمة	٦٩٠
فهرس المصادر والمراجع	٦٩٢
فهـــرس المحتويـــات	٦٩٨